الرأي العام العربي والإسلامي تجاه السياسة الخارجية الأمريكية

مقدمة:

شهد الرأي العام العربي والإسلامي تبلورًا واضحًا تجاه السياسة الخارجية الأمريكية منذ اندلاع انتفاضة الأقصى في 28 سبتمبر 2000، وازداد تصاعدا في أعقاب أحداث 11 سبتمبر 2001 وما أفرزته من تداعيات "**الحرب على الإرهاب**" حسب الرؤية الأمريكية التي جرت في ظلها الحرب على أفغانستان، ويمتد تبلور الرأي العام ليشمل الموقف من التهديد بالعدوان مجدداً على العراق (وقت الانتهاء من كتابة هذه الدراسة)في منتصف فبراير 2003

وهكذا تفاعل الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي -ومازال- مع أحداث انتفاضة الأقصى ساخطًا على المواقف الأمريكية الداعمة للسياسة العدوانية الإسرائيلية، وكشفت تداعيات أحداث 11 سبتمبر تحولاً كبيرا في مواقفه من الشك والريبة إلي العداء والكراهية للسياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة بحيث أثير التساؤل حول أسباب ذلك العداء، فأحداث سبتمبر وما أعقبها من العدوان على أفغانستان شكلت استمرارا للصورة السلبية لدى الرأي العام تجاه سياسة الولايات المتحدة التي تكونت بسبب تعاملها مع الانتفاضة ومساندتها للعدوان الإسرائيلي، ولكنها شكلت قفزة نوعية في الكثافة بصورة يمكن أن تشكل قطيعة نهائية -ربما لعقود قادمة- خاصة مع الإعداد لعدوان متجدد على العراق، ومن ثم تتلخص القضايا التي أثارت الرأي العام العربي والإسلامي — من وجهة نظر الدراسة - في ثلاث قضايا مترابطة وهى: الأولى- السياسة الأمريكية المعادية للانتفاضة الفلسطينية وحركات المقاومة الوطنية والإسلامية التي وضعت على قائمة الإرهاب الأمريكية، والداعمة لسياسات الحكومة الصهيونية، والثانية- أحداث 11 سبتمبر و تحميل العرب والمسلمين عامة المسئولية عنها وضرب أفغانستان والحرب ضد الإرهاب بصورة عامة والتي يعتبرها الرأي العام حرباً ضد الإسلام والمسلمين، والثالثة- استمرار الإعداد للعدوان على العراق كما أسلفنا.

وقد قامت وسائل الإعلام والاتصال بدور رئيسي في نقل صورة الأحداث والمعلومات بصددها إلي الرأي العام بصورة غير مسبوقة مقارنة بغيرها من الأحداث؛ فالقنوات الفضائية المختلفة والصحف قامت بتغطيتها فورياً في معظم الأحيان، بحيث عايش الرأي العام التفاعلات المستمرة للأحداث من خلال الكلمة والصورة والحركة مما جعله عرضة للتشكل والتكون، إذ تنوعت أساليب التغطية الإعلامية بصورة فرضت المتابعة من قبل الرأي العام وتكوين الاتجاهات والمواقف إزاءها بصورة شبه يومية.

وفي ظل تلك التطورات برز الرأي العام فاعلاً فقامت المظاهرات الشعبية بصورها المختلفة ضد إسرائيل بداية ثم تواصلت ضد الحلف الأمريكي الصهيوني بعد ذلك، كما برز في هذا الإطار أحد أشكال المقاومة المدنية السلمية وهى مقاطعة السلع والبضائع الأمريكية وبالطبع الإسرائيلية و لم تعد الحركة قاصرة علي بعض القوي السياسية بل شملت قطاعات واسعة من الرأي العام الذي تشير استطلاعاته إلي حجم الرفض العربي والإسلامي للسياسة الأمريكية في العالم العربي والإسلامي بصورة توفر أرضية خصبة للقوي السياسية المناوئة للولايات المتحدة سواء أخذت تحركاتها شكلاً سلميًا أو عنيفًا.

ولقد أدركت بعض النخب الأمريكية السياسية والفكرية الأبعاد السياسية للأمر ولكنهم حاولوا البحث عما ورائه من اعتبارات "**ثقافية وحضارية ودينية**" في محاولة للإجابة عن سؤال: لماذا يكره العرب والمسلمون أمريكا؟ وتساءلت عن إمكانيات الصدام أو الحوار والتعايش؟ وكان

السؤال المقابل الذي طرحته القيادات والنخب العربية والإسلامية هو: لماذا تضطهد "**السياسة**" الأمريكية العرب والمسلمين؟! ولماذا "**المعايير السياسية المزدوجة**" في التعامل مع قضاياهم المختلفة دون بقية الأمم والشعوب؟؟ وعلى أي أساس نتحاور ونتعايش وثمة مظالم وجرائم سياسية ترتكبها الإدارات الأمريكية المختلفة بحق العرب والمسلمين؟؟ ربما تؤكد هذه التساؤلات أن تحليل الأحداث وتفسير المواقف السياسية لم يعد مقتصراً علي الاعتبارات والحقائق السياسية في مفهومها الضيق، بل أصبح محكوماً بالاعتبارات السياسية بمعناها الشامل الذي يغطى الأبعاد الفكرية والثقافية والدينية النفسية... الخ، وان ألخلاف السياسي يخفي اختلافاً في الرؤية الفكرية والحضارية يتعين تفحصها وتحليلها، والواقع أن دراسة هذا الموضوع من الاتساع بحيث تتطلب الإجابة على الكثير من التساؤلات التي لا يتسع لها نطاق الدراسة المحدد، ونتيجة لطبيعة الدراسة الاستطلاعية سوف نقتصر على الإجابة على التساؤلات التالية:

ما هي القضايا الأساسية التي تجمع حولها الرأي العام وشكلت توجهات حركته، وتعبيراته المختلفة؟؟ وماهية أبعادها وجوانبها المختلفة؟؟ وكيف تحولت هذه القضايا إلى قضايا "**رأى عام مثارة**" في وسائط الإعلام والاتصال المختلفة؟ بمعنى كيفية قيامها بعرض هذه القضايا وتوصيلها، وتحويل الوعي والاهتمام بها من المستوى الفردي إلى الجماعي، وكيف أدركت هذه القضايا فعليًا؟ وكيف ترجمت هذا الإدراك على أرض الواقع؟؟

كيف أفصح الرأي العام عن مواقفه بصدد هذه القضايا سواء بصورة قولية مباشرة في الاستطلاعات، أو سلوكية في المظاهرات؟ ما هي الدلالات الأساسية لحركة الرأي العام العربي والإسلامي بصدد هذه القضايا مقارنة بحركة الرأي العام العالمي؟؟ وسنحاول قدر الإمكان أن تأتى الدراسة في أربعة محاور أساسية إجابة على هذه التساؤلات..

أولاً- القضايا الأساسية المحركّةَ للرأي العام العربي والإسلامي:

تمثل ظاهرة الرأي العام "**اتجاهات الغالبية في مجتمع من المجتمعات إزاء قضية محددة أو موضوع معين يحظى بأهمية وقيمة لديهم، وقد أصبح موضوعاً للنقاش والتفاعل العام بفعل الكثير من العوامل والآليات من بينها التغطية الإعلامية، وتفصح ظاهرة الرأي العام عن نفسها في الكثير من الأشكال والمظاهر سواء اتخذت شكلاً سلميًا أو عنيفًا**"[1] وبصرف النظر عن كيفية تكوين الرأي العام وتفاعله بصدد القضايا المختلفة، فإن من أهم المقومات الأساسية لوجود ظاهرة الرأي العام تتمثل في ثلاث نقاط: وجود قضية معينة على قدر معين من الأهمية معلنة ومثارة، وأن يجرى النقاش وتبادل الآراء حول هذه القضية بحيث يوجد حولها قدر من الاتفاق المجتمعي تمثله الأغلبية، وأن توجد درجة من درجات الحرية تكفى للإعلان والتعبير عن اتجاهات الرأي العام بكافة أشكاله ومظاهره[2].

وسوف يكون تناولنا لهذه المقومات الثلاثة التي تكون الظاهرة بنفس الترتيب، فالرأي العام تبلورت اتجاهاته الأساسية بداية حول ثلاث قضايا مجمعة وهى: الانتفاضة الفلسطينية 28 سبتمبر 2000، وآثار أحداث 11 سبتمبر 2001 وما تلاها من العدوان على أفغانستان، ثم الإعداد للعدوان مجدداً على العراق،وسوف نحاول استجلاء أبعاد هذه القضايا الثلاث التي تشكل في تفاعلها معالم السياسة الخارجية الأمريكية المثيرة للجدل تجاه العالم العربي والإسلامي في السنوات الثلاثة الأخيرة.

وإذا أردنا إعطاء هذه القضايا عمقها وحضورها في الذاكرة التاريخية للأمة، فرغم ما يبدو على السطح من ضعف العرب والمسلمين، وأن "**الأكلة يتداعون على قصعتهم**" حسبما ورد في الحديث الشريف[3] إلا أن "**الأحداث السياسية الكبرى في ربع القرن المنصرم وحتى الآن، نجد العرب والمسلمين هم طرف فيها، وأحداث القتال والحركات الشعبية التي لا تهدأ نجد أن العرب والمسلمين هم طرف فيها، كانوا هم طرف**

الصراع وموضوعه أيضا"[4] فهذه القضايا الثلاث هي حلقة في سلسلة الأحداث إلا أنه يجمعها أمران: الأول- أنها تمثل حالة "**عدوان صريح يفتقد المبرر المقنع**"، والثاني- "**أنها صارت موحدة للمسلمين شعوبًا ورأيًا عامًا على الأقل، فأصبح ثمة شعور بالانتماء الواحد، وبوحدة المصير إزاء الجبروت الأمريكي**"[5] ولنتناول هذه القضايا الثلاث بإيجاز ونقاط التجميع بصددها وعلى النحو التالي:

القضية الأولى- السياسة الأمريكية في التعامل مع الانتفاضة الفلسطينية:

مثلت الانتفاضة الفلسطينية الثانية (انتفاضة الأقصى) اختبارًا عمليًا لحقيقة العلاقة بين الإدارة الأمريكية والكيان الصهيوني، وقد أدركت قوى الرأي العام العربي والإسلامي حقيقة دور واشنطن التي أعطت الضوء الأخضر لإسرائيل لشن هجومها على الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة[6]، وأن التحركات السياسية الأمريكية في القضية الفلسطينية تتم بطريقة توزيع الأدوار بين الدبلوماسية الإسرائيلية والأمريكية تحت ستار العديد من المبادرات الشكلية دون فعل على أرض الواقع. كما يدرك الرأي العام العربي والإسلامي أن القيادتين الأمريكية والإسرائيلية يجمع بينهما تمجيدهما للقوة والحسم العسكري، وأن التحالف الأمريكي - الإسرائيلي قائم على أساس انحياز واشنطن التام إلى تل أبيب هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن العلاقة العربية الأمريكية مضمونة بالنظم العربية القائمة [7] التي استتبعت معظمها الإدارة الأمريكية في حربها المعلنة ضد "**الإرهاب**" فقبلت الانخراط -ولو بشكل غير مباشر في العدوان على أفغانستان، والتعاون غير المحدود مع الاستخبارات الأمريكية في مواجهة القوى المتهمة بالإرهاب في مجتمعاتها، معتقدة أن الإدارة الأمريكية ستجد نفسها مضطرة كي لا تضر بمصالحها الحيوية في الشرق الأوسط إلى تقديم مبادرة جدية وربما السعي لإقامة دولة فلسطينية، الأمر الذي ذكره الرئيس بوش في ذروة الهجوم الإسرائيلي على جنين والضفة الغربية عامة حينما أعلن عن ضرورة إقامة الدولة الفلسطينية، ومع ذلك يستمر الجيش الإسرائيلي المحتل للأراضي الفلسطينية في مواجهة الانتفاضة؛ يدمر المنازل ويعتقل آلاف الشباب ويقتل المجاهدين والأبرياء دون أن يصدر عن الإدارة الأمريكية أي رد فعل يردع إسرائيل عن استمرارها في شن الغارات اليومية، أو يبرر للرأي العام العربي والإسلامي على الأقل السبب الذي يمنعها من تبني موقف واضح من ذلك، بل على العكس تمنع صدور أي قرار لإدانة إسرائيل مستخدمة حق الفيتو في إجهاضه، وفى الوقت نفسه الذي تضع فيه القوى الفلسطينية الوطنية والإسلامية وغيرها على قائمة الإرهاب الأمريكية، وتسعى لسحب المشروعية عن مقاومة الاحتلال والعمليات الاستشهادية، وتضغط بمختلف الوسائل لوقف الانتفاضة، ولعله من الصعب على الإدارة الأمريكية إقناع الرأي العام العربي والإسلامي – إذا كانت بالفعل مهتمة بذلك - بأن ما تقوم به إسرائيل يحدث ضد إرادتها أوفي تحد لها، كما أن الحجة القائلة بأن عدم تحرك الولايات المتحدة في الملف الفلسطيني يمكن أن يؤثر في استقرار "**الأنظمة المعتدلة**" المؤيدة للولايات المتحدة في المنطقة وقد يؤدى إلى تفجر الأوضاع، فانه لا يشكل مصدر ضغط على أحد بقدر ما هو تجسيد يفصح عن العجز وغياب الضغوط العربية من ناحية، ومن ناحية أخرى يعبر القطاع الأكبر داخل الإدارة الأمريكية الحالية عن قناعة بأنه لا يوجد خطر حقيقي على بقاء الأنظمة المعتدلة في المنطقة، بل إن جناحاً داخلها يذهب إلى أن زعزعة استقرارها بدرجة من الدرجات سوف يجعلها أكثر خضوعًا وتبعية للإرادة الأمريكية[8].

القضية الثانية- أحداث سبتمبر وتداعيات الحرب على "الإرهاب" في أفغانستان:

كان واضحًا في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 أن الولايات المتحدة سوف تستثمرها لتصفية الحسابات القديمة توسيعا لدائرة هيمنتها وتحقيقا لاستراتيجيتها الإمبراطورية التي تلقى معارضة كبيرة من

قوى عالمية متعددة لم تتقبل استفراد واشنطن بالقرار الدولي بعد زوال الحرب الباردة، وهكذا قامت الإدارة الأمريكية ببلورة مفهوم إستراتيجية "**الحرب الدولية ضد الإرهاب**" لتجبر الجميع على التحالف معها، وكان واضحاً وفق الإدراك الأمريكي أن المسرح الرئيسي للحرب العالمية ضد الإرهاب سيكون منطقتين رئيسيتين هما: آسيا الوسطى والشرق الأوسط، فمن جهة أولى- تحتوي المنطقتان على أكبر مخزون للطاقة العالمية وتحتلان مواقع إستراتيجية استثنائية تجعلها موضع تنافس تاريخي بين القوى الدولية المتنافسة الآسيوية والأوروبية والأمريكية، ومن جهة ثانية- تتسم المنطقتان بالانقسامات والمشكلات الاقتصادية والسياسية، فهما منطقتا اضطراب وعدم استقرار فقد كانتا المصدرين الرئيسين في العقود الثلاثة الماضية للحركات الموسومة بالإرهاب، ومن جهة ثالثة- تعد المنطقتان مركزًا للحضارة الإسلامية التي اعتبرها المنظرون الأمريكيون اليمينيون أنها الحضارة التي لا تزال تقاوم الغرب وتتعارض في قيمها ومبادئها مع ثقافته وترفض التفاهم والحوار، وهكذا فإن صورتهما هي صورة المناطق"**المتمردة والعاصية**" على "**السلام الأمريكي** "والتي تعمهما الفوضى السياسية والاجتماعية والعقائدية لأسباب مختلفة منها الحروب والصراعات بين دولها، وإخفاق مشاريع التنمية والإصلاح الاجتماعي، والانقسام والتناحر المستمر الداخلي، وعجز النخب المحلية الحاكمة والأهلية عن إيجاد حلول لأزمة المنطقتين... الخ، كل ذلك قدم ذريعة لتيارات اليمين القومي الأمريكي لتفرض سياساتها وتعزز الضغوط العسكرية والسياسية في اتجاه إعادة السيطرة المباشرة على المنطقتين.

والواقع أن معظم الحكومات العربية والمسلمة لم تدرك حقيقة التحولات في الإستراتيجيات العالمية بعد أحداث سبتمبر والنزعات الجديدة التي تسيطر عليها، فاعتقدت أن التحالف مع واشنطن في الحرب الدولية على الإرهاب والتمسك بشكليات القرارات الدولية سيكون كافياً للخروج من الأزمة دون خسائر كبيرة، وبالتالي لم تعزز هذه الحكومات دفاعاتها الإستراتيجية والسياسية والأيديولوجية واستمرت تعيد إنتاج نفسها كما لو أن شيئاً لم يتغير في العالم، بل إن الكثير منها اعتقد أن من حقه – بقصر نظره– استثمار الأزمة الدولية وإستراتيجية الحرب الأمريكية ضد الإرهاب في سبيل تحقيق أهداف من قبيل: تضييق هوامش التحول الديمقراطي، وتصفية المعارضة الداخلية بتغطية دولية، والالتفاف على عمل منظمات حقوق الإنسان، وقد أدت سياسات الأنظمة العربية إلى خلق "**حالة الشلل**" الحالية أمام "**الاستعمار الأمريكي الجديد**"، ولن تدفع النظم القائمة وحدها الثمن ولكن مصالح الشعوب بل ووجودها العضوي ذاته غدا مهددًا، ولعل الرأي العام يدرك أن الخضوع لتلك الأنظمة لا يعني فقط التنازل عن الحقوق الأساسية وتكريس امتيازات النخب ولكنه يمكن أن يقود إلى التدمير الذاتي المستقبلي، ويبقى الثمن المطلوب لتغيير الأنظمة أقل كثيراً مما سيدفع لو تركت تتصرف بحرية في مستقبل الأجيال القادمة. والمثال العراقي جدير بالتأمل العميق فهو أبعد مدى من كونه ضحية القوى الخارجية والعدوان الأمريكي[9].

القضية الثالثة– التهديد بالعدوان على العراق مجددًا: حولت الإدارة الأمريكية تركيزها من "**الحرب على الإرهاب** " في أفغانستان إلي وضع الخطط العسكرية لضرب العراق بحجة نزع أسلحة الدمار الشامل، والتخلص من نظام حكم يمثل تهديداً لجيرانه في منطقة الخليج دون أن تهتم بإقناع العالم بسلامة أهدافها، وعدالة مقاصدها، وقد اختلفت التفسيرات حول الأسباب الحقيقية وراء تصميم أمريكا علي مهاجمة العراق:

- تأثير اللوبي الأمريكي لصناعة النفط الذي جاءت منه الإدارة الأمريكية،مثلاً بوش وتشيني ورامسفيلد وأعوانهم، ممن يرون ضرورة سيطرة

أمريكا علي منابع النفط في العالم ومن أهمها العراق.

- تمثل الحرب جزءًا من مخطط رسمته قوى اليمين المسيحي الصهيوني الذي يؤمن بأن أمريكا في أوج قوتها وعظمتها لابد أن تخضع روسيا والصين وأوروبا وبقية دول العالم.
- إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط بما يحقق المصالح القومية الأمريكية والتي أعلنها بوضوح وزير الخارجية الأمريكي.
- توفير نوع من الضمان الأبدي لأمن الدولة الإسرائيلية وتفوقها على جميع جيرانها.
- الوفاء بالوعود الانتخابية التي قدمها بوش حين انتقد سياسة الاحتواء التي اتبعها كلينتون، وطالب بضرورة استخدام القوة في التخلص من نظام صدام حسين.
- إخفاق الحملة العسكرية الأمريكية في أفغانستان في تحقيق أهدافها حتَّم علي إدارة بوش البحث عن هدف آخر يحقق فيه نصرًا سياسيًا وعسكريًا وعالميًا يضمن له الفوز في انتخابات الولاية الثانية. ثم برزت قضية كوريا الشمالية بما تمتلكه من أسلحة نووية مبدية تحدياً يضع ادعاءات أمريكا بأنها تعمل علي نزع أسلحة الدمار الشامل على المحك، وذلك بعد أن أثبتت- ومن قبلها باكستان والهند وإسرائيل- أن امتلاك السلاح النووي هو الضمان الوحيد ضد طغيان القوة الأمريكية[10].

وهكذا يمكن أن نستخلص بصدد القضايا الثلاث الممثلة لمحور تبلور ظاهرة الرأي العام الدلالات التالية: الأولى-تشكل هذه القضايا الثلاث (انتفاضة الأقصى، والحرب على الإرهاب والعدوان على أفغانستان، والتهديد بالعدوان على العراق) المعالم الأساسية للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة العربية والإسلامية في الفترة الأخيرة على الأقل منذ الانتفاضة بحيث، تبدو في حالة حرب حقيقية وعدوان متواصل عليها.

الثانية- تشكل هذه القضايا نوعًا من الحضور الدائم والمستمر على أجندة الرأي العام العربي والإسلامي، ولذلك وجدنا نوعًا من الربط بينها في حركته وتعبيراته بمظاهرها المختلفة، وربما يرجع ذلك للمعاصرة الزمنية وعدم وجود انقطاع أو فواصل بينها، بالطبع فإن لكل قضية من هذه القضايا ذروة تترافق مع اشتداد درجة وحدة العدوان الأمريكي وتصاعد تفاعلات الرأي العام بصددها، غير أن تراجع هذه التفاعلات بصددها لا يعني انتهاءها، ولكن تحولها للقضية الأخرى التي تحتل بؤرة التفاعل وهكذا باستمرار في حركة مستمرة ومتتابعة لظاهرة الرأي العام.

الثالثة- وحّدت هذه القضايا إلى حد كبير من قوى الرأي العام العربي والإسلامي تجاه سياسات العدوان الأمريكي، وسنرى فيما يلي كيفية تكونه، وكيفية إفصاحه وتعبيراته عن نفسه، بحيث نستطيع القول مثلا لدى المقارنة بين حرب الخليج 1990في ناحية، وفي ناحية أخرى ما حدث في أفغانستان 2001، وقبلها في الانتفاضة 2000 وما سيحدث مع العراق 2003 من ناحية أخرى" **إن الحادث الأول كان مفرقًا للعرب، أما الحوادث الأخيرة فقد صارت موحدة للمسلمين، الحادث الأول قسمنا شعوبًا ورأيًا عامًا، أما الحوادث الأخيرة فقد أشعرتنا بالانتماء الواحد، وبوحدة المصير إزاء الجبروت الأمريكي. الحادث الأول تضمن في طياته مبررات انضمام قسم كبير من حكوماتنا إلي أمريكا دفاعاً عن الكويت، أما الحوادث الأخيرة فقد افتقدت هذا المسوغ، فلم تستطع أي من حكومات العرب والمسلمين أن تقف مع الولايات المتحدة في حربها...، كما أن الموقف السلبي للحكومات العربية والإسلامية كشف قدرًا غير خاف من الوهن والاسترخاء أمام شعوبها دون مسوغ منها.. "**[11].

الرابعة- صاحبت هذه الأحداث والقضايا حملة تشويه ضخمة في الإعلام الأمريكي تمثل امتداداً للمنطق السائد قبلها، وإن حققت قفزة نوعية استهدفت مختلف المفاهيم والرموز الإسلامية وعلى رأسها مفهوم الجهاد، والعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في القرآن، والتعليم الديني في المدارس الإسلامية، ووجود المسلمين والعرب في أمريكا، وقد أسهمت الحملة الدعائية في ترسيخ الصور الانطباعية التي تكونت لدى كل طرف عن الآخر وشكلت في النهاية نوعاً من أنواع العقل الباطن الذي يختزن لدىكل طرف مجموعة من الخرافات والأكاذيب والمعلومات المغلوطة وغير الدقيقة عن الطرف الآخر، ولقد كان نصيب العرب والمسلمين الأكبرمن هذه الانطباعات السلبية مقارنة بنصيب الأمريكيين، فأضحت صورة العربي والمسلم في أمريكا ترمز في الواقع إلي الوحشية والتخلف والعنف والسذاجة، ولربما ترجع هذه الصورة المترسخة إلي فعل عاملين؛ أولهما- ما تقوم به الوسائط الإعلامية والفنية و صناعة السينما في هوليود بما تمتلكه من تقنية وإبهار، والتي جعلت من العربي والمسلم موضوعها المثير في الأفلام والكتب والبرامج عبر ممارسة التنكيل الحضاري بالآخرين؛ وثانيهما- ما تقوم به القوي وجماعات الضغط الموالية لإسرائيل بسيطرتها الإعلامية والفنية التي تجد الفرصة سانحة لكي ترسم صورة سلبية عن العرب والمسلمين.

الخامسة- إن الصورة التي تكونت عن أمريكا في العقل العربي الإسلامي ترجع إلى هذه القضايا من جانب، ومن جانب آخر إلي ميراث الخبرة التاريخية، وبإجمال سنفصله فيما بعد نقول: إن الصورة كانت في الحقيقة أقل سلبية بكثير باستثناء مسألة الانحياز الأمريكي المطلق لإسرائيل علي حساب الحقوق المشروعة والعادلة للعرب والشعب الفلسطيني، ولعله يمكننا تركيز عوامل تكون "**الصورة الانطباعية**" عن أمريكا في عقدة الاستعلاء والشعور الطاغي بالفوقية والهيمنة والتدخل في شئون الآخرين، وهي عقدة لازمت عبر التاريخ كل الإمبراطوريات والقوى الكبرى تقريباً؛ ربما كان مبعث النقد في الحالة الأمريكية أن ذلك يتعارض مع ما تدعيه من كونها نموذجاً ورمزاً للديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان[12] ،وسوف نناقش في النقطة التالية كيفية تكون الرأي العام بصدد هذه القضايا والأحداث.

ثانياً- تحريك وسائط الاتصال العربية لقضايا العدوان الأمريكي الرأي العام مسالك تغطية

لا يكفى أن تتوافر المقومات الموضوعية لقضية من القضايا حتى تتحول إلي قضية رأى عام، بل لا بد من تتحول إلي "**قضية مثارة**" إعلاميا ومجتمعيا بحيث ينتقل إدراكها من المستوى الفردي إلى الجمعي، بمعنى أن تحظى بتغطية إعلامية ودعائية تكفى لكي يتفاعل معها الجمهور، فينتقل من موقف المشاهدة والتأثر والانفعال بما يشاهده، إلى موقف إبداء الرأي قولاً والذي يحظى هو الآخر بنوع من التغطية حسب أهميته ومستواه ليزداد تكثفا، فينتقل إلى التعبير عن الرأي كسلوك جمعي علني وهنا يولد الرأي العام بمظاهره المختلفة وقد تحددت زمانًا، ومكانًا، وأشخاصًا، وأفعالاً ناهيك عنها [13]، وقد تحددت قبلاً قضية وموضوعًا. وبالطبع فإن تكوين الرأي العام وتحريكه لا يكون في اتجاه واحد وإنما في اتجاهات متعددة بل ومتناقضة، ومن هنا فإننا سوف نتناول مسالك التغطية في الاتجاهين سواء ما تقوم به الفضائيات والصحف العربية، أو ما حاولت أن تقوم الإدارة الأمريكية على هذا الصعيد من جهود معاكسة، فهناك جهود لتكوين اتجاهات الرأي العام بشكل معين، وهناك جهود أخرى لمنعها أو حجبها، أو التقليل من حدتها وقوتها، وبالطبع فإن الواقع أثبت أن التغطية الأولى كانت أكثر فعالية، ومن ثم انتقل الرأي العام من إطار الاتجاهات القولية، إلى التعبيرات المباشرة بمظاهرها المختلفة، ومن ثم فإن التغطية للقضايا وتحريك الرأي العام بصددها يمكن تناولها في ثلاثة متغيرات؛ الأولى- تغطية

وسائل الإعلام العربية للقضايا الثلاث "**نموذجي قناة الجزيرة، وصحيفة القدس العربي**"، والثانية- الآليات الأمريكية في تحسين صورتها لدى الرأي العام. والثالثة- الآليات النظامية لتفعيل حركة الرأي العام العربي والإسلامي بصدد القضايا الثلاث، ولنذكر ذلك تفصيلاً:-

الأولى: تغطية وسائل الإعلام العربية للقضايا الثلاث "نموذجي قناة الجزيرة، وصحيفة القدس العربي":

تنوعت أساليب التغطية الإعلامية للقضايا الثلاث وما يرتبط بها من قضايا مساندة كانت جميعها موضوعًا للرأي العام العربي والإسلامي في الفترة موضع الدراسة، بداية من نشر الأخبار، والصور، والتعليقات، والحوارات، والخطب والأشرطة المسجلة، ونشر بيانات تنظيم القاعدة وقيادته، والافتتاحيات في الصحف، ومرورًا باستضافة الخبراء والمحللين السياسيين والمثقفين للاستماع لرؤاهم في تطوراتها وتحليلاتهم لمحدداتها وأسبابها، إلي جانب علماء الدين لنشر فتاواهم، وانتهاء بنشر استطلاعات الرأي العام ومتابعة الاحتجاجات الجماهيرية السلمية والعنيفة، الأمر الذي جعل هذه القضايا المحورية حاضرة وموضع تفاعل الجمهور قبل أن تتحول لحركة رأى عام جماهيري بكل ما يعنيه ذلك من دلالات. وبالطبع لن نستقصي كل أساليب التغطية الإعلامية، ولكننا سوف نختار أكثرها شيوعًا وفاعلية كنماذج، كما أننا لن نتعرض لكل أدوات صناعة الرأي العام وتحريكه، ولكننا سوف نختار في نفس الإطار أكثرها فعالية وتأثيرًا، ولن نعرض لكل منهما استقلالاً عن الأخرى تجنبًا للتكرار، وإنما سنعرض للطرق والمسالك في إطار الأدوات والوسائل، وسوف نقسم هذه الوسائل إلي القنوات الفضائية، والصحف، وسوف نختار نموذجًا لكل منها: فللأولى سوف نتخذ "**قناة الجزيرة**"، والثانية سوف نتخذ "**جريدة القدس العربي**"، وسوف نتناول في كل وسيلة منهما المحور الذي ركزت عليه بصدد كل قضية بجانب استعراض استطلاعات الرأي العام.

1 -تغطية قناة الجزيرة للقضايا الثلاث وتفاعل الرأي العام العربي والإسلامي معها: تعتبر قناة الجزيرة التي تصدر من قطر من أكثر وسائط الإعلام العربية والإسلامية فعالية، ومشاهدة في العالم العربي، أو حتى بين الجالية العربية في المهجر[14].والطابع العام لتغطية قناة الجزيرة هو الطابع الإخباري الذي تقدمه غالبًا حيًا "**Live**" مباشرة من أرض الواقع عبر النشرات الإخبارية على مدار الساعة، بالإضافة لبعض البرامج ذات الطبيعة التحليلية للأخبار، كما أن للقناة شبكة من المراسلين الأكفاء في المناطق التي تدور فيها أحداث هده القضايا:

أ) تغطية الانتفاضة الفلسطينية الثانية غلب عليها البث الحي؛ فمثلاً نقلت وقائع حصار القيادة الفلسطينية -مقر قيادة عرفات- حتى إنها تعرضت للانتقاد لتركيزها للقضية والعدوان الصهيوني في شخص عرفات، خاصة أنه في النهاية تفاوض وقام بتسليم المحاصَرين معه الذين تم ترحيلهم خارج البلاد "**فلسطين**" ككل مقابل فك الحصار عنه، ونفس الحالة تكررت تقريبًا في حصار كنيسة القيامة، كما أن الجزيرة قامت أيضًا بتغطية حصار جنين بشكل مكثف، وفى نفس الإطار غطت الجزيرة قضية المقاطعة الاقتصادية للبضائع والسلع الأمريكية سواء عبر برنامج" **الشريعة والحياة**" الذي تبنى الدعوة إليها باستمرار، ورفدها بالفتاوى، وكذلك استضاف برنامج "**بلا حدود**" دعاة المقاطعة الذين دعوا لها، وبينوا مدى النجاح الذي تحقق، وفى نفس الوقت قامت الجزيرة بنقل حي لصور التظاهر في معظم البلاد العربية والإسلامية بما فيها بعض دول الخليج تأييدًا وتعاطفاً مع الانتفاضة الفلسطينية، كما حرصت في الوقت نفسه على إجراء استطلاعات الرأي العام حول

أحداثها ووقائعها المثارة، وكذلك نشر الاستطلاعات التي أجرتها جهات أخرى حولها، وذلك في موقعها على الإنترنت، والذي حوى أيضاً دراسات وعروضاً ومناقشة لموضوع الانتفاضة، كما ساهم برنامج "**الاتجاه المعاكس**" بعدة حلقات أثارت الجدل والنقاش بين الاتجاهات المختلقة حول الانتفاضة في المجتمع وبين النخب من قادة الرأي العام، وفضلا عن ذلك فإن الجزيرة فتحت نافذة على مدى ساعة على الهواء مباشرة ليعبر الناس عن آرائهم في أحداث الانتفاضة وكان ذلك في أثناء تصاعدها في البداية بشكل يومي، وبعد ذلك صار البرنامج أسبوعيًا حتى اليوم، كما أن أحد جوانب الاهتمام في هذا البرنامج هي قضية المقاطعة التي قدمت نموذجًا لنجاح الفعل الشعبي المعَّبر عن الرأي العام.

ب) تغطية الجزيرة لأحداث سبتمبر كانت مكثفة؛ بحيث فرضت متابعتها على جمهور الرأي العام العربي والإسلامي، وازداد تفرد قناة الجزيرة بمتابعة العدوان على أفغانستان، خاصة في بدايات الحرب، حيث ظهرت عبر تغطيتها كطرف قوي، فقد ظلت لمدة أسبوعين منفردة بالتغطية، لأنها كانت القناة الوحيدة التي تمتلك مكتبًا في أفغانستان،حتى إنه حدث ترتيب مهني بينها وبين السي.إن.إن لحصول الأخيرة على الصور باستمرار منها وبثها، وهكذا فقد بدا ولو للوهلة الأولى أن الجزيرة قد غيرت موازين القوة الإعلامية التي من خلالها تهيمن وسائط الإعلام الغربية والأمريكية على ساحة التغطية مثلما حدث أثناء الغزو العراقي للكويت وما تبعه من التدخل الدولي وتحرير الكويت، وعلى المستوى العربي طرحت تغطية الجزيرة المتميزة للحرب على أفغانستان التساؤلات حول ما إذا كانت ستشكل احتكارًا إعلاميًا على المستوى العربي؟ وهل يخدم ذلك قضية حرية الإعلام والحق في تداول المعلومات؟ بالطبع فإن الإجابة على هذا التساؤل لها موضع آخر، وقد قامت التغطية الإعلامية لأحداث الحرب في أفغانستان على عدة محاور، منها على سبيل المثال:

- عرض صور القصف الأمريكي المستمر على قواعد طالبان وتنظيم القاعدة، ومتابعة التحالف بين قوات الشمال والقوات الأمريكية والغربية من البداية وحتى هزيمة قوات طالبان، ثم تابعت الأحداث حتى تولي حكومة قرضاي وما تواجهه من عمليات مقاومة حتى اليوم.
- إبراز وتغطية خطابات تنظيم القاعدة، وبالذات إذاعة الأشرطة المنسوبة لأسامة بن لادن، وبعض مساعديه، سواء احتوت على اعتراف بالمسئولية عن بعض العمليات، أو مهاجمة الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الأنظمة العربية، أو الدعوة لمحاربة أمريكا في كل بلدان العالم الإسلامي، وفى هذا انتقدت القناة في اهتمامها بابن لادن بأنها " **تصنع له أهمية وتبرزه كأنه ممثل الأمة الإسلامية، وأنها وإن قامت في هذه القضية بدور التوعية، إلا أنها شوهتها بجعلها توعية تعبوية لصالح طالبان وابن لادن، فهي تذيع خطاب ابن لادن دون الرد عليه، رغم أنها تصريحات ليست سياسية فقط بل ورؤية فقهية خطيرة، وتأتي بأمريكان يردون على الخطاب في حين يحتاج الأمر إلى علماء فقهاء، وروجت لفكرة جماعة القاعدة رغم معارضة مفكري المسلمين لها** "،وقد كان الرد على ذلك بأنها " **سمحت لآراء أخرى تقول: إن ابن لادن ليس فقيهاً ولا يمثل الأمة أو يعبر عن رأيها، وقد استضافت الشيخ القرضاوي وتناول خطاب ابن لادن في إطار شرعي، وناقش ما يشمله من مخالفات فقهية**"[15]، وأن ما تفعله في هذا الصدد هو من باب السبق الصحفي والاعتبارات المهنية بشكل أساسي وليس تعبيرًا عن انحياز سياسي
- تغطية أشكال وصور التظاهر، والتعاطف مع الشعب الأفغاني إزاء القصف الأمريكي، وقد نقلت قناة الجزيرة صورًا من معاناة الشعب الأفغاني، وقد ركزت تحديداً على قضية الأسرى العرب والمسلمين الذين نقلوا إلى

قاعدة جوانتنامو بكوبا، وما يتعرضون إليه من إهدار لحقوق الإنسان الأساسية. وقد اتبعت القناة نفس آليات وطرق التغطية الإعلامية التي اتبعتها في القضية السابقة

ج) تغطية قناة الجزيرة لقضية التهديد بالعدوان على العراق – والتي تشهد وقت كتابة هذه الدراسة – ذروتها، فيبدو منها وكأن القناة مكرسة لهذه التغطية؛ فهناك تغطية إخبارية متكاملة في نشرات الأخبار، والتغطيات الحية المباشرة من موقع الحدث، وكذلك معظم برامجها التحليلية سواء الملف الأسبوعي، أو بلا حدود، أو حوار الأسبوع...الخ، وقد تركزت المتابعة حتى الوقت الحالي على المحاور التالية:

- متابعة أعمال اللجان الدولية للتفتيش على الأسلحة النووية، وأسلحة الدمار الشامل عبر بعثة الأمم المتحدة والتي يقودها محمد البرادعى، وهانز بليكس، ووضع الرأي العام باستمرار في إطار تطورات عمل هذه اللجنة، وكيفية تعامل واستجابة العراق للتعامل معها، وفتح كافة مرافق البلاد للتفتيش.
- متابعة جهود الولايات المتحدة الأمريكية سواء من ناحية حشد التحالف الدولي في مجلس الأمن أو خارجه لإحكام الحلقات حول العراق تمهيدًا للعدوان عليه، سواء كان ذلك في إطار مجلس الأمن أو على الصعيد الإقليمي في المنطقة العربية، والعالم الإسلامي..
- نقل تعاطف الرأي العام باتجاهاته المختلفة مع قضية العراق، سواء تمثل ذلك في المظاهرات، والاحتجاجات التي خرجت في العواصم العربية، أو الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، أو في غيرها من وسائل التعبير عن الرأي العام، ونقل خطاب ابن لادن الذي يدعو فيه لمساندة العراق، وكذلك بيانات مختلف القيادات والعلماء المسلمين، وإجراء نوع من المقارنة بين قوة ومدى التعبير عن الرأي العام على المستويين العربي والإسلامي من ناحية، والدولي أو العالمي من ناحية أخرى..

والخلاصة أنه لعل أهم مميزات تغطية قناة الجزيرة للقضايا الثلاث هي إعطاء الفرصة لرجل الشارع ليعبر عن رأيه وكأنه من قادة الرأي والفكر، وعرضت وجهات النظر المختلفة بصدد هذه القضايا، الأمر الذي يتيح تكوين الرأي العام على أساس واقعي وعملي، ووفقًا لما يرى البعض فإن "**قناة الجزيرة أسمعتنا أصواتًا مغفلة ومأمورًا بسكوتها**"، ومن ناحية أخرى "**المصطلحات التي كنا نستخدمها هي نفس المصطلحات الغربية، نقول مثلا: حزب الله التابع لإيران،والقتلى في فلسطين،و أعمال العنف، ووقف إطلاق النار... الخ، وكل الأرشيف كان غربيًا، لكن الجزيرة سجلت أرشيفًا مصورًا بعين تراعي أشياء لا تراعيها العين الأمريكية**[16] " وقد أدت التغطية التي قدمتها قناة الجزيرة إلى تفاعل قطاعات واسعة من الرأي العام العربي والإسلامي مع هذه القضايا المثارة والتي تمثل في مجملها السياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة.

2- **التغطية الصحفية "القدس العربي اللندنية نموذجًا"**: تمثل التغطية الصحفية التي قدمتها صحيفة القدس العربي – و هي تصدر بالعربية من لندن وتوزع في بعض البلاد العربية – نموذجًا متميزًا آخر يكمل ما تقوم به قناة الجزيرة، وإن كان تأثيره بدرجة أكبر على الجاليات العربية والإسلامية في الخارج، فقد أفردت الجريدة معظم أعدادها أثناء تفاعل هذه القضايا والأزمات لتغطية أحداثها، وتكوين اتجاهات الرأي العام بصددها،وقد شملت تغطية الصحيفة معظم أشكال التغطية مثل نشر الأخبار والتحليلات، والتحقيقات، والاستطلاعات، والمقالات، والآراء والدراسات.. ودون دخول في تفاصيل موضعها دراسات أخرى كان تأثير هذه الجريدة بالغًا على تكوين الرأي العام خاصة في بلاد المهجر وبريطانيا تحديدًا – وبالذات ما طرحه رئيس تحريرها من رؤى وتحليلات

وانتقادات– بصددها عبر الصحيفة أو عبر الفضائيات العربية أيضًا [17]، وقد قامت الصحيفة بنقل اتجاهات الرأي العام المصري بصدد الأحداث الثلاثة، كما ركزت أيضًا عليها في السعودية ومنطقة الخليج عبر الصحف الخليجية التي انتقدت السياسة الأمريكية تجاه العراق معتبرة أنها لن تؤدي سوي لمزيد من الاضطراب في المنطقة، وأن هدفها النهائي وهو تحطيم القدرات العربية، وتوزيع الأدوار بينها وبين إسرائيل لهذه الغاية، وأكدت ضرورة الاحتكام إلي الأمم المتحدة لتسوية الأزمة. و أن المعارضة العراقية هي من العجز بحيث لا تستطيع الوصول إلي بغداد إلا بحراسة أمريكية،كما انتقدت موقف قطر وتوقيعها اتفاقية عسكرية لتدخل الجيش الأمريكي حال تعرضها لغزو خارجي، [18] بوصفها تمثل نوعًا من فقدان الإرادة السياسية والخضوع للحماية العسكرية الأمريكية، و قد نقلت القدس العربي بعض الآراء داخل النخبة المصرية التي تعتبر الدفاع عن العراق ضد العدوان الأمريكي عمالة لنظامه [19]، دون تمييز بين الموقف من نظام العراق ورفض الهجوم على العراق ذاته [20] ،ولم تكن ساحة تشكيل الرأي العام وتحريكه – في المنطقة العربية على الأقل قاصرة – على الآليات العربية التي عرضناها، والتي قادت إلي وجود حالة من العداء للسياسة الأمريكية أفضت إلي تعبير الرأي العام عن نفسه بمختلف المظاهر كما سنرى، ولكنها تضمنت المحاولات المعاكسة التي بذلتها الإدارة الأمريكية.

الثانية: الآليات الأمريكية في تحسين صورتها، ومنع تصاعد الرأي العام إزاءها بصدد القضايا الثلاث:

حاولت الإدارة الأمريكية تحسين صورتها في مواجهة التغطية الإعلامية العربية التي كونت رأيًا عامًا معاديًا لهيمنتها وقد تمثلت في عدة محاولات منها:

1 – تعاقد الخارجية الأمريكية من أجل تحسين صورة الإدارة أمام الرأي العام في العالم العربي والإسلامي مع أحد مكاتب الدعاية، وقد أعرب المصريون لممثله كيف أن المسلمين يشعرون بالاستهداف، و أن السياسة الأمريكية لا تقدر عمق المشاعر بالنسبة للقضية الفلسطينية ومواقف الرأي العام إزاء السياسة الخارجية تجاه قضايا العرب والمسلمين، ويبدو جلياً أن الحرب الأفغانية وتأييد أمريكا لإسرائيل في مواجهة الانتفاضة تركا أثراً كبيرًا في توجهات الرأي العام إزاء السياسة الخارجية الأمريكية،ويبدو أن الحملة الأمريكية الدعائية لم تحقق شيئاً يذكر [21].

2 – المبادرة الأمريكية لنشر الديموقراطية في العالم العربي **"والتي أعلنها وزير الخارجية بتكلفة 29 مليون دولار! وتولي ابنة تشيني وزير الدفاع الأمريكي مسئولية هذا الملف، وذلك لكي تصبح الدول العربية والإسلامية ديمقراطية والتي نالت قدرًا كبيًرا من التحليل والمعارضة من كافة القطاعات الفاعلة في الرأي العام "**[22].

3 – الجهود التي يقوم بها رؤساء البعثات الدبلوماسية في بلدان العالم العربي والإسلامي لتحسين صورتها؛ فعلى سبيل المثال نظمت جامعة أسيوط المصرية لقاء مع السفير الأمريكي عن "**سياسات بلاده نحو العراق والقضية الفلسطينية**"، وقد أجاب علي الأسئلة مؤكدًا حرصه علي التعرف بصورة مباشرة علي الاتجاهات الحقيقية للمصريين نحو سياسات بلاده [23].

4– تم إنشاء الإذاعة العربية "سوا" –معًا بالعربية– التي بدأت البث في مارس 2002 بتمويل أمريكي، وهي تقدم مزيجًا من الموسيقى الغربية والعربية تتخلله تقارير إخبارية تعكس وجهة النظر الأمريكية، وهي تعتبر أحدث مشروع إعلامي ثقافي أمريكي يهدف إلى توضيح السياسات الأمريكية تجاه المنطقة وتسويقها في إطار خطة لفرض الهيمنة الأمريكية، وتحرير العالم العربي والإسلامي من قيمه الذاتية، وإنتاج نسخ عربية جديدة تتماشى مع العولمة الأمريكية من خلال بث القيم ووجهات النظر الأمريكية بين الأغاني والسطور وتبث الإذاعة برامجها على موجات "إف. إم" حاليا

لكل من مصر والإمارات والأردن والكويت والأراضي الفلسطينية المحتلة، ويتم توسيع قنوات البث لتشمل معظم الدول العربية، كما يوجد لها أربع محطات تقوية في كل من: عمان والكويت ودبي وأبو ظبي، وهي تهدف إلى كسب جمهور الشباب العربي عبر استخدام برامج شبيهة ببرامج الإعلانات التجارية الهادفة إلى ترويج سلعة ما، ولكن في حالة "سوا" تصبح الأخبار والقيم الأمريكية هما السلعتين موضوع الإعلان لقطاع الشباب الذين يمثلون نصف سكان الوطن العربي، ويدرك الأمريكيون أن فرصتهم في التأثير على الجيل الذي لم تتبلور توجهاته السياسية والفكرية والثقافية والاجتماعية بعدُ هي أكبر من استهداف الجيل الذي تخطى الثلاثين من العمر. (24)

5- تم إنشاء "**راديو فردا**" – الغد الأمريكية باللغة الفارسية– وهي موجهة للشباب الإيراني "**70% من الشعب الإيراني البالغ عدد سكانه قرابة 70 مليون نسمة**"، وقد بدأت بث برامجها 1 2-12-2002 من العاصمة التشيكية براغ، وهى إذاعة الجيل القادم "**إذاعة الغد إذاعة جيل الغد**"، وقد حدد الرئيس بوش هدفها في خطابه الافتتاحي لانطلاقة الإذاعة: "**تساعد الولايات المتحدة الأمريكية في إيصال الأخبار للشعب الإيراني منذ سنوات عبر إذاعة الحرية، لكن ما زال الشعب الإيراني يقول لنا: إنهم بحاجة لمزيد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية؛ لأن عددًا من غير المنتخبين الذين يسيطرون على مقاليد الحكم في إيران ما زالوا يضعون العراقيل أمام الحصول على الأخبار غير المراقبة. ومن هذا المنطلق نحن نخدم طيفًا أكبر من الإيرانيين عبر نشر الأخبار والموسيقى والتقارير الثقافية خلال(24) ساعة... ونحن نستمر في وقوفنا مع الشعب الإيراني في سعيه للحصول على الحرية والتقدم وحكومة صادقة ومؤثرة ونظام قضائي عادل وحكومة القانون**"، وتدار إذاعة "فردا" الفارسية من نفس الجهة التي تشرف على إذاعة "سوا" العربية وهي مجلس أمناء الإذاعات الدولية الأمريكية وتشبه" **سوا**" في التركيز على فئة الشباب (25).

6- وضعت خطة لإنشاء "**شبكة تلفزيون الشرق الأوسط وتم تخصيص مبلغ 30 مليون دولار في السنة المالية 2004 لتمويلها؛ لكي تبث دعاية أمريكية باللغة العربية تهدف للتأثير على الرأي العام، كما أنها ستساعد في التغلب على المشاكل التي واجهتها واشنطن في إقناع الحكومات العربية بإذاعة إعلانات في محطات التلفزيون العربية الحكومية**"..(26).

ولعل كل ذلك يثير تساؤلاً أ سياسيًا محوره: هل أمريكا تبني سياستها في المنطقة العربية بناء على التقليد الأمريكي الذي يلعب فيه الرأي العام دورًا في صنع القرار السياسي؟. أم المنطق الدعائي هو الذي يسود إزاء قرارات السياسة الخارجية تحديدًا؟؟ (27) ورغم كل الجهود التي بذلتها الإدارة الأمريكية عبر هذه الآليات وغيرها من خلال تفعيل منطقي الدعاية السياسية والإعلامية من جانب، ومن الجانب الآخر منطق الرقابة السياسية والإعلامية والتي لتفصيلها موضع آخر، فقد ظلت اتجاهات الرأي العام العربي والإسلامي بل والعالمي متفاعلة مع القضايا الثلاثة، وقد وفر قادة الرأي العام عدة أطر نظامية لتفعيل حركة الرأي العام نتناولها بالتفصيل في النقطة التالية:

الإطار النظامي لتفعيل الرأي العام العربي والإسلامي:

يمكن في هذا الصدد أن نرصد مجموعة من الأطر النظامية الشعبية والتي سعت لتنظيم حركة الرأي العام العربي والإسلامي وتفعيله في عملية مواجهة العدوان الأمريكي (28):

1. اللجان الشعبية لدعم الانتفاضة وأفغانستان والعراق: تعمل هذه اللجان الشعبية عبر محورين: الأول– لجان الدعم المالي وتعنى بجمع التبرعات النقدية والعينية وإقامة احتفالات ومهرجانات ومظاهرات على

المستوى الشعبي، وشارك في هذه اللجان جمعيات خيرية وجمعيات نفع عام أسهمت بجهد أكبر تأثيراً وأكثر تنظيماً نظراً لما تتمتع به هذه الجمعيات من وضعية رسمية وقانونية وهياكل إدارية ومقار.. إلخ.، الثاني- لجان تعنى بمقاومة التطبيع ومناهضة الصهيونية، وكذلك لجان دعم الشعب الأفغاني، والشعب العراقي مثل لجنة مقاومة العدوان الأمريكي على الشعب العراقي التي تضم الحملة عددًا من المثقفين والنشطاء[29].

2. تغطية الفضائيات العربية لأحداث العدوان الأمريكي في القضايا الثلاث: وهى آلية جديدة مفادها نقل نبض الرأي العام العربي والإسلامي واتجاهاته كما سبق تفصيلها، وقد أسهمت في نقل المشاعر العربية والإسلامية وتوحيدها وتغذيتها بالصورة والتعليق الداعي للغضب والتفاعل والعمل ونقل رد الفعل الشعبي وتشجيع أطراف أخرى شعبية للتقليد والمحاكاة.. إلخ..
3. تفعيل الآليات الشعبية العربية: جرت محاولات متعددة لتفعيل رد الفعل الشعبي على المستوى العربي عن طريق كيانات قائمة بالفعل مثل المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي الإسلامي عبر اجتماعاتهما الدورية أو الدعوة لانعقاد طارئ لدعم القضية الفلسطينية والقدس. كما أن هناك عدة اجتماعات ومؤتمرات عقدت للغرض نفسه، ولكن يظل أثرها محدودًا...
4. تفعيل لجان مقاطعة السلع والبضائع الأمريكية: يلاحظ أن بعض اللجان كان موجوداً من قبل الانتفاضة الثانية، وبعضها نشأ معها بحيث أصبحت القوائم تضم السلع والبضائع الأمريكية التي انخفضت مبيعاتها إلى ما يقرب من النصف مما يعني نجاح حملات المقاطعة التي اتخذت شعار "**قاطعوهم ما استطعتم**"، وتمت إدارتها من خلال مؤسسات المجتمع المدني في كل قطر (النقابات والغرف التجارية وجمعيات رجال الأعمال) باعتبارها أحد المظاهر الفعالة في التعبير عن الاحتجاج والغضب [30] ، فمثلا أجبرت التهديدات بالمقاطعة شركة والت ديزني على إلغاء المعرض الإسرائيلي حول مدينة القدس بمناسبة الاحتفال العالمي بالألفية الثالثة[31] ، وقد استمرت المقاطعة كآلية في إطار حركة الرأي العام مع القضايا الثلاث[32]. ورغم كل هذه الأطر فهي ليست تعبيرًا عن تكون قوى عربية وإسلامية جديدة عابرة للحدود وقادرة على فتح الآفاق الضرورية لبلورة رد ناجع على المشروع الصهيوني والعدوان الأمريكي التي لم تستطع الحكومات أو ليس من مصلحتها أن تفتحها [33].

ثالثًا: الرأي العام بين الاتجاهات و مظاهر التعبيرات المختلفة:

بداية يجب التمييز بصدد دراسة ظاهرة الرأي العام بين الاتجاه والرأي من جانب، والرأي العام حين يتم التعبير عنه بصورة قولية أو لفظية، أو حين يتم التعبير عته بصورة فعلية من جانب آخر، ودون دخول في تفاصيل نظرية ليس هنا موضعها، فالرأي يختلف عن الاتجاه؛ ففي حين يكون الرأي معلنًا؛ فإن الاتجاه استجابة داخلية مبكرة، والرأي دليل على وجود الاتجاه، ولكن الاتجاه لا يشترط أن يتحول إلى رأى يتم الإفصاح عنه، والاتجاه يعد فعلاً سياسيًا في حيز التكوين، أو هو اتجاه تحقق بالفعل، وتحقق الاتجاه في رأى يمكن أن يتخذ صورة وشكلاً قوليًا كما يمكن أن يتخذ صورة وشكلاً عملياً فعليًا[34] ،ومن المنطقي أن العمليات التي من خلالها يتحول الاتجاه إلى رأى يتخذ صورة قولية يختلف عن الأخرى التي يتحول الاتجاه بها إلى رأى يتخذ صورة فعلية سلوكية، الأمر الذي يطرح تساؤلاً حول تفسير الفارق بين الشكلين والصورتين من التعبير عن الرأي العام العربي والإسلامي تجاه العدوان الأمريكي من

ناحية، ومن ناحية الفارق بين موقف الرأي العام العربي والإسلامي وبين موقف الرأي العام العالمي عامة والغربي على وجه التحديد..

أولاً: التعبيرات القولية لظاهرة الرأي العام تجاه العدوان الأمريكي على الأمة

– تكشف استطلاعات الرأي العام داخل مختلف قطاعات عن وجود ما يقرب من الإجماع بصدد الموقف من العدوان الأمريكي بصدد القضايا الثلاث، وسوف نعرض لرؤية ومواقف هذه القطاعات، ولكن قبل ذلك نتناول الصورة الكلية لأمريكا في الرأي العام على النحو التالي:

1– الصورة الكلية للعدوان الأمريكي لدى الرأي العام: وجهت أسئلة إلى عينة من ثماني دول عربية للتعبير عن مواقفهم إزاء ثلاث عشرة دولة، ومن أبرز نتائجها حصول الولايات المتحدة وبريطانيا على نقاط سلبية من المشاركين في الاستطلاع، و المثير ارتفاع نسبة الآراء السلبية للغاية وسط العرب الذين استطلعت آراؤهم إزاء الولايات المتحدة وبريطانيا مقارنة بالآراء الإيجابية تجاه كندا، وفرنسا التي تعتبر الدولة الوحيدة التي ظلت محل تقييم إيجابي ثابت من بين الدول التي شملها استطلاع الرأي. أما أفضل نسبة نقاط تحصل عليها فرنسا، فقد جاءت من المغرب ولبنان، حيث عبر تسعة من بين كل عشرة أشخاص عن رأي ايجابي تجاهها، علاوة على أن اقل نسبة نقاط حصلت عليها فرنسا جاءت من السعودية، حيث عبر 50 في المائة ممن استطلعت آراؤهم عن آراء ايجابية تجاه فرنسا [35]. ، وفى دراسة "**ماذا يعتقد العرب**" التي تم استطلاع آراء 3800 شخص في ثماني دول عربية حول سؤال "**ماذا يمكن للولايات المتحدة أن تفعل لتحسين علاقاتها مع العالم العربي؟**" أشارت النتائج إلى نسبة بين الثلث إلى النصف طالبت بأن تتخذ الولايات المتحدة خطوة لوقف الممارسات الإسرائيلية غير القانونية، أو انتهاج سياسة أكثر توازنًا تجاه الصراع، بينما نسبة الثلث تحدثت حول الحاجة إلى أن تصبح الولايات المتحدة أكثر احترامًا أو نزاهة في علاقاتها مع العرب [36]. وعبر الملاحظة المباشرة للشارع العربي كان السائد بأن من يقول "**لا**" للولايات المتحدة يعد بطلاً، بل إن بعض المصريين يلاحظ بإعجاب موقف كوريا الشمالية مردداً " **لو لم أكن كوريًا، لوددت أن أكون كوريًا**"، كما يورد أحد المواطنين "**كل يوم تشاهد التلفزيون وترى الإسرائيليين يقتلون الفلسطينيين بأسلحة أمريكية، ومهما حاولت الولايات المتحدة تحسين صورتها في العالم العربي، فإن ما نشاهده بأعيننا يبدو أقوى بكثير من المحاولات الأمريكية** " [37].

2– الرأي العام لقطاع الشباب العربي والإسلامي: كشف أحد الاستطلاعات المهمة عن مجمل الآراء [38]. بصدد العلاقة بين أحداث سبتمبر والسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط أن 84.8% يرون وجود علاقة بينهما مقابل 15.18% يرون عدم وجودها، وعن وجهة النظر فيها نجد أن 82.40% يرونها سياسة غير عادلة وغير متزنة، في مقابل 17.59% يرون عكس ذلك، كما رأي 67.59% أنها سياسة تكيل بمكيالين لصالح إسرائيل، في مقابل 32.40% ترى عكس ذلك. كما رأي 63.70% أنها تمثل سياسة قهر وإجبار واستغلال للمنطقة مقابل 36,29% يرون عكس ذلك. ورأي 64.48% أن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط هي سياسات مشجعة لإسرائيل في كل سياستها نحو الفلسطينيين مقابل 35.18% يرون عكس ذلك[39]، وحول تقييم الحرب ضد الإرهاب كشف الاستطلاع عن أن 83.33% يرون أن الرؤية الأمريكية تمثل فهمًا خاطئًا لمفهوم الإرهاب، بينما يرى 70.37% أنها تعتبر حربًا ضد المسلمين، ويرى 70.55% أنها تمثل تطبيقًا

عمليًا للصراع بين الحضارات[40] ، وفى هذا الصدد حددت العينة موقفاً من ضرب أفغانستان وتنظيم القاعدة: فقد كشف الاستطلاع عن أنه يعارضها 90 %. لرغبتهم في إجراء تحقيق عادل دون توجيه ضربات عسكرية ضد أفغانستان، وعمّا إذا كانت السياسات الأمريكية قد غيّرت من نظرة الشباب العربي المتعلم إلي الولايات المتحدة باعتبارها دولة الحريات أظهرت إحدى الدراسات أنه حدث تغيير كبير في هذه الرؤية، حيث تبني 73.88% حدوث هذا التغيير مقابل نسبة 26.11% [41] ، وفيما يتعلق بالتأثير علي تغيير مفهوم الإرهاب والعدالة لدي الولايات المتحدة أظهرت الدراسة أن هناك 56.85% من العينة يرون أن هناك تغييرا مقابل 43.14% يرون عكس ذلك، وفيما يتعلق بما إذا كانت الولايات المتحدة ستبقي دولة عظمي مهيمنة أم لا فقد كشفت الدراسة عن تأييد 38.88% أن الولايات المتحدة ستبقي دولة عظمي مهيمنة وحيدة، مقابل رفض 61.11%. مما يشير إلي اهتزاز هيبة الولايات المتحدة بعد الأحداث [42].

3- آراء النخبة قادة الرأي العام: عبر قادة الرأي العام عن مواقفهم من العدوان الأمريكي عبر منطقين وهما: "**الفتاوى**" و"**الحوار الحضاري**" نتناولها بإيجاز فيما يلي:

أ) الفتاوى بصدد الانتفاضة "**التمييز بين المقاومة والإرهاب، والاستشهاد**"، "**الحرب على أفغانستان**"، "**القتال مع الجيش الأمريكي**"، وتحريم العدوان على العراق: بصدد الانتفاضة كان الموقف الأبرز فتوى العمليات الاستشهادية، فبعد أن أفتى شيخ الأزهر بأن الهجمات على المدنيين محرمة في إشارة واضحة للعمليات الاستشهادية غُيّر فتواه، وبرز التأييد الجديد للمؤسسة الدينية المصرية للهجمات الاستشهادية وكذلك المؤسسة السعودية، فقد وصف الذين ينفذون العمليات الاستشهادية بأنهم "**شهداء في أعلى درجاتها** " ووصفت أعمالهم بأنها بطولية تعبر عن مبدأ الجهاد الإسلامي، "**ووصفت الهجمات الفلسطينية ضد الأهداف الإسرائيلية بأنها وسيلة أخيرة للدفاع لشعب أعزل؟**[43]" ، أما أبرز ما يمكن رصده بصدد الحرب الأمريكية ضد الإرهاب و"**القتال في أفغانستان**" هي فتوى مشاركة المسلمين في الجيش الأمريكي في القتال الصادرة عن المجلس الفقهي لأمريكا الشمالية، ويؤكد منطوقها "أنه على العسكريين المسلمين أن يطلبوا من إداراتهم وقياداتهم تحويلهم إلى الصفوف الخلفية، وعدم إحراجهم بأن يقاتلوا أناساً مسلمين يحرجهم قتالهم مع جالياتهم، ولكن إذا كان العسكري المسلم يخاف أن يتهم في ولائه لوطنه ويتعرض إلى متاعب فله أن يقاتل بقدر الضرورة، "وأضافت: إن حقوق المواطن الأمريكي مسلماً وغير مسلم، الدستورية والقانونية تسمح له إذا كُلِّف بما يخالف وعيه وضميره أن يعترض." [44] لكن ما أثار جدلاً هو البيان الصادر عن اللجنة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز [45]. أما بالنسبة للتهديد بالعدوان على العراق فقد صدرت فتاوى من المراجع الدينية في النجف بتحريم تعاون المعارضة العراقية مع الولايات المتحدة، مقرر ة أنه يدخل في باب تولي الكافرين والركون للظالمين،فقد انتقدت الحوزة في النجف "**الحوزة الأم التي تمثل المرجعية الشيعية**" تعامل المجلس الأعلى للثورة مع أمريكا مؤكدة ضرورة أن يكون جميع العراقيين والمسلمين صفًا واحدًا أمام أي اعتداء كافر علي العراق [46].

ب) الحوار بين المثقفين والمفكرين العرب والأمريكان:

كان البيان الذي أصدره ستون مثقفاً أمريكياً في إثر الهجمات على نيويورك وواشنطن بعنوان "**على أي أساس نقاتل**"[47]، وأهم ما في البيان أن الحرب مبررة أخلاقياً بدعوى الدفاع عن النفس، كما يقوم على أساس فرضية وجود قيم عالمية بطرح أمريكي يجب أن تهيمن على العالم، وقد أصدر 150 مثقفًا ومفكرًا

سعوديًا بيانًا بعنوان "**على أي أساس نتعايش**"، وجاء نشره في ظل تزايد مشاعر الإحباط إزاء الحليف الأمريكي التقليدي [48] ؛ وقد أدان بيان المثقفين السعوديين ما وصفوه بالحملة الإعلامية المنظمة على الإسلام والمسلمين وخاصة على النظام التعليمي والمنظومة الثقافية للمسلمين، وتساءل البيان حول كون الولايات المتحدة من أكثر الدول مخالفة لمقررات الأمم المتحدة عبر تبريرها الدائم للممارسات الإسرائيلية الظالمة الفلسطينيين، و في الوقت الذي تعد فيه آلتها العسكرية للهجوم على العراق بحجة انتهاك حقوق الإنسان، مؤكدًا على دعوة الغرب إلى الحوار و الانفتاح الجاد على الإسلام، وفى تبرير صدور البيان قيل إنه كان من المهم أن يسمع الغرب صوتًا معتدلاً يدافع عن العقيدة وقيم المسلمين الحقيقية غير المعروفة في الغرب[49] .

ثانيًا– مظاهر التعبير عن الرأي العام العربي والإسلامي وأشكاله:

يمكن رصد أهم مظاهر التعبير السلمي والمباشر عن الرأي العام في مظهرين هما: المظاهرات والاحتجاجات الشعبية، ومقاطعة البضائع الأمريكية، بالإضافة إلي مظهر عنيف وغير مباشر تمثل في أعمال العنف السياسي والاغتيالات على النحو التالي:

1 – الاحتجاجات الجماهيرية: المظاهرات الشعبية

كانت بداية تفاعل الرأي العام العربي والإسلامي مع قضية الانتفاضة مبكرة؛ إذ لازمتها بداية، وأخذت منحى متسعًا لدرجة أن دولاً لم تعرف المظاهرات مثل دول الخليج خرجت فيها مظاهرات تأييد لها، ثم تصاعدت حدة الغضب وتحرك الرأي العام الإسلامي في مظاهرات حاشدة حتى إنه تحت ضغطها خرج بيان قمة الدوحة "**أسميت قمة انتفاضة الأقصى**" ناقمًا على إسرائيل وناقدًا لأول مرة الموقف الأمريكي المتواطئ مع القمع الإسرائيلي، ونتيجة لأن أحداث سبتمبر وقضية "**الحرب على الإرهاب**" والعدوان على أفغانستان قد حدثت في السياق الزمني لاستمرارية الانتفاضة الفلسطينية، والأمر ذاته ينطبق على التهديد الأمريكي بالعدوان على العراق، فإن المظاهرات تداخلت في الأهداف، وفى الشعارات، ومن الظواهر الجديدة نوعًا ما والتي ارتبطت بحركة المظاهرات عدة متغيرات [50]:

أولها – نتيجة التطور الهائل في وسائل الاتصال والمعلومات الحديثة أضيفت شرائح مجتمعية جديدة للمظاهرات ودخلت مجال التعبير عن الرأي عن طريقها، فقد شهد الفضاء الاليكتروني عدة مظاهرات نظمها نشطاء المواقع العربية والإسلامية تفاعلا مع قضايا الأمة الثلاثة وضد السياسة الأمريكية.

الثاني– أدخل التطور التكنولوجي أيضا شرائح اجتماعية في عملية التظاهر ضد السياسة الأمريكية، فقد وفر امتلاكها للأطباق اللاقطة الاستماع إلى الفضائيات، كما وفرت لهم شبكة المعلومات الانترنت سبل التواصل، ولذلك رأينا منهم من يتظاهر تضامنًا مع الانتفاضة وضد الحرب الأمريكية التي ترفع شعارات محاربة الإرهاب، وكذلك التهديد بالعدوان على العراق (ومن الأمثلة على ذلك مظاهرة طلاب الجامعة الأمريكية بالقاهرة)

الثالث – سبقت حركة الرأي العام المتمثلة في المظاهرات التنظيماتِ السياسيةَ والتنظيماتِ الأهليةَ، أي أن حركة المظاهرات العفوية الشعبية سبقت أي جهد تنظيمي، وتراجع دور الأحزاب والقوى السياسية في هذا الصدد.

الرابع – ظلت مراكز ومحاور انطلاق المظاهرات تدور أساسًا حول المنطلقين التقليديين تاريخيًا في العالم العربي والإسلامي وهما: الجامعات، والمساجد، وإن كان بأشكال مختلفة (منها مثلاً: المسيرة المليونية التي تمت في المغرب وشارك فيها أكثر من مليون شخص في مايو 2002، وكذلك المظاهرة الصاخبة أمام جامعة القاهرة والتي تعرضت للتصادم مع أجهزة الأمن، وكذلك في جامعة الإسكندرية والتي توفي فيها طالب مصري)

الخامس – التظاهر ضد أنظمة بعينها بحجة التواطؤ مع أمريكا في الهجوم على العراق، من ذلك المظاهرة أمام السفارة القطرية بالقاهرة والتي شملت المئات الذين رددوا هتافات معادية للولايات المتحدة وإسرائيل، ووصفوهما بـ "**العدو المشترك**" للعرب، ونددوا بما أسموه "**تواطؤ**" قطر والكويت في هجوم محتمل على العراق.

السادس – الدعوة إلى تشكيل دروع بشرية بهدف حماية المستشفيات والمؤسسات المدنية العراقية من أي هجوم أمريكي محتمل، وقد بدأت من قبل أفراد غربيين بالأساس ثم امتدت للبلاد العربية مثل الأردن، وقد اعتبرها رئيس أركان الجيوش الأمريكية جريمة حرب.

السابع– يتضح أن ثمة أغلبية تتظاهر منطلقة من رفض مبدئي لقيام الولايات المتحدة بحرب ضد العراق لأسباب منها: التعاطف مع الشعب العراقي الذي سيكون الضحية الأولى لأية حرب، كما أثبتت حرب الخليج الثانية والحصار الذي أعقبها، كما أن هناك حالة مناهضة تصل عند البعض إلى درجة العداء تجاه الولايات المتحدة بسبب مواقفها المتحيزة لإسرائيل وتاريخها المتحيز للأنظمة الاستبدادية ضد الشعوب، كما أن هناك تخوفًا من الأهداف الحقيقية للولايات المتحدة في المنطقة، حيث يرى كثير من المحللين أنه لن يقف عند بغداد، بل هو بداية سيتم بعدها استهداف دول أخرى عربية أو مسلمة.

ويمكن أن نرصد أهم المظاهرات الشعبية وقت إجراء الدراسة [51] فيما يوضحه(الجدول أ/ 1)

ما يمكن أن نلاحظه من قراءة هذا الجدول أن المظاهرات شملت معظم البلاد العربية تقريبًا، وتركزت في أيام محددة غالبًا ما كانت تجرى أيام الجمع أو مناسبات رسمية، و أن حجم المشاركة الشعبية في هذه المظاهرات كان محدوداً بدرجة كبيرة، كما أن الشعارات المرفوعة في المظاهرات ربطت بين قضايا العدوان الأمريكي على المنطقة سواء بالنسبة للموقف الأمريكي المساند للكيان الصهيوني في مواجهة الانتفاضة، أو الحرب الأمريكية المعلنة في مواجهة الإرهاب، أو التهديد الأمريكي بالعدوان على العراق.

بالطبع فإن الرأي العام العربي والإسلامي لم يقتصر في إفصاحه عن مواقفه على المظاهر السلمية، وإنما شملت العنيفة أيضاً فقد تصاعد دور الاتجاهات العنيفة، وازداد التأييد الشعبي للتيارات المعتدلة في الوقت نفسه، وذلك على خلاف ما ذهبت إليه بعض الكتابات من أن تقدم أحد هذين الاتجاهين يعد خصمًا من رصيد الآخر، فبالنسبة للتيارات العنيفة وعلى رأسها تنظيم القاعدة فقد سجلت فترة الدراسة تصاعدًا في الهجمات التي تستهدف جنوداً ومواطنين ومصالح أمريكية وغربية في أكثر من بلد عربي مثل: السعودية، واليمن، والكويت، وقد ترافقت مع إعلان الحرب على الإرهاب، ومع أحداث الانتفاضة، ومع استمرارية التهديد الأمريكي بالعدوان على العراق، ففي الكويت تم رصد ست محاولات اعتداء على جنود أمريكيين خلال شهر ونصف فقط، بعضها أسفر عن قتلى والآخر عن جروح خطيرة، أبرزها هجوم جزيرة فيلكه، وفى السعودية رغم كل محاولات التغطية تحمل الأخبار باستمرار هجمات وقتلى تستهدف غربيين وأمريكيين، وفى عمان تعرض دبلوماسي أمريكي للاغتيال، وقتلت مواطنة أمريكية في بيروت، وأحداث العنف التي سادت مدينة معان الأردنية، واستدعت اقتحام الجيش وقتل العديد من المواطنين، كما هوجمت المصالح الأمريكية والغربية في أكثر من مكان.... ودون دخول في تفاصيل الأحداث نلاحظ أن ما يربط بينها: أن ضحاياها من الأمريكيين والغربيين، ومنفذيها هم من الإسلاميين، الذين يرتبطون بصورة مباشرة أو غير مباشرة مع تنظيم القاعدة، الأمر الذي يعني أن الحرب الأمريكية ضد الإرهاب لم تحقق أهدافها، ويمكن استنتاج أربع دلالات من تحليل الظاهرة [52] أولاها– أن العداء للأمريكيين بلغ ذروته في المنطقة العربية،

وهو مرشح للازدياد الأمر الذي يعني أن تنظيم القاعدة ورؤيته يمكن أن تصبح نقطة جذب وتجنيد للعديد من الشباب في العالمين العربي والإسلامي، ثانيتهما- بدأت تتلاشى هيبة الأنظمة العربية بسرعة، فمثلاً بلد مثل المملكة العربية السعودية أصبح فيها من يهاجم رجال الشرطة، ويحرق المحلات التجارية، ويشارك في هجمات فدائية علي قواعد أمريكية في الخبر والرياض، وثالثًا- معظم الذين ينفذون عمليات الهجوم والاغتيالات التي تستهدف أمريكان وغربيين هم من مواطني دول الخليج الغنية، والمعروفة بعلاقاتها الاستراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية، مما يعني أن هناك خللاً واضحاً في أنظمة الحكم، أو في البيئة الاجتماعية، أو وجود سوء تقدير لمشاعر المواطنين. رابعًا- أن الرأي العام العربي لم يعد يتحرك وفق منطق المظاهرات فقط أو حتى تنفيذ أعمال عنف سياسي ضد الحكومات، لكنه يهاجم أمريكا في داخلها، ويستهدف رعاياها بالأساس..

والملفت للانتباه أن أقوى المظاهرات المناصرة للانتفاضة، والمعارضة للتوجهات الأمريكية بصدد الحرب على الإرهاب، وكذلك المعارضة للتهديد الأمريكي بالعدوان على العراق جاءت أساسًا من الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الغربي بشكل عام، وسوف نستعرضها في جدولين تمهيدًا لقراءتها، وتفحص دلالتها.

أهم المظاهرات ضد التهديد الأمريكي للعراق في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا (جدول أ /2، 3) **يتضح من قراءة هذا الجدول الدلالات التالية وهي:**

- حجم المظاهرات الضخم إذا ما تمت مقارنته بما تم في البلدان العربية والإسلامية، وبالانتشار في معظم المدن و البلاد الأوربية وأمريكا، مقارنة بالمحدودية في البلدان العربية والإسلامية، كما أنها من حيث التنظيم والإعداد وراءها تصور محدد ورسالة واضحة ضد الإدارة الأمريكية.
- التنوع في خلفية المشاركين في المظاهرات، فهناك دعاة السلام الذين يعارضون كل الحروب، إضافة إلى مناهضي العولمة واليساريين المتعاطفين مع العالم الثالث وأنصار البيئة خاصة أنصار حزب الخضر، ومناهضي التمييز العنصري، وأخيراً بعض الأمريكيين من الأصل العربي والمسلم.
- القضية التي تجمع بين المشاركين في المظاهرات هي القناعة بأن العدوان الأمريكي يفتقد مبررات الحرب العادلة ككل سواء بالنسبة للحرب على الإرهاب أو بالنسبة للحرب ضد العراق، فحجج الإدارة الأمريكية لتجريد العراق من أسلحة الدمار الشامل غير مقنعة، كما أن الحديث عن صلة النظام العراقي بالقاعدة لم تثبت.
- يوجد رفض للمبدأ الذي تحاول الإدارة الأمريكية تسويق الحرب ضد العراق على أساسه، وهو مبدأ الحرب الوقائية، لأنه يمثل سابقة خطيرة في العلاقات الدولية، إذ يعطي الدول الحق في مهاجمة مناوئيها إذا اعتقدت أنها تشكل خطراً عليها.
- يوجد حالة من عدم الثقة بالخط المتشدد داخل الإدارة الأمريكية، الذي ينم عن نزعة استعلائية ممزوجة بروح عنجهية القوة، وستكون له نتائج لا تحمد عقباها للعالم أجمعه.

- وتعد المظاهرة المعروفة بـ"المليونية" في العاصمة اللندنية نموذجًا تطبيقيًا وحالة واضحة لانطباق هذه الدلالات كما سنرى فيما يلي؛ فقد شهدت لندن في 28-9-2002 مظاهرة لمناصرة الانتفاضة والاحتجاج على التهديد بالعدوان على العراق [53] وقد وصفها المراقبون بأنها الكبرى منذ الحرب العالمية الثانية إذ حضرها

وفقاً لمعظم التقديرات حوالي نصف مليون متظاهر، وسبقها تخطيط جيد أجرى في إطاره عدد من استطلاعات الرأي العام منها ما نشرته صحيفة "**إندبندنت**" البريطانية 24-12-2002 والذي أوضح أن 70% من العينة رفضوا تصريحات الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء البريطاني "**أن الحرب ضد الإرهاب ليست ضد الإسلام**".وقال 84% إن على الحكومة البريطانية أن تسعى للحصول على موافقة مجلس الأمن قبل مهاجمة العراق، وقد نظم المظاهرة ائتلاف "**ضد الحرب**" الذي يضم حركات سلمية بريطانية، والرابطة الإسلامية في بريطانيا **MAB**، وشارك فيها عمدة لندن وعدد من نواب حزب العمال الحاكم المعارضين لسياسة بريطانيا حول العراق، كما انضم للمسيرة ممثلون لحزب العاملين الاجتماعيين والمئات من الجمعيات الإسلامية العاملة في الساحة والأحزاب السياسية البريطانية، بالإضافة لمختلف فئات الشعب البريطاني الذين توافدوا من مدن اسكتلندا وويلز، وقد علت الهتافات خلال المظاهرة، منددة بكل من رئيس الوزراء البريطاني، والرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء الإسرائيلي وردد المتظاهرون: "**نعرفك يا بوش، فأبوك كان قاتلا مثلك**"(**Bush we know you، your father was a killer too**) "**فلتسقط إسرائيل**" (**Down Israel،Down**)، كما ارتفعت لافتات "**لا للحرب ضد العراق**" "**لا للإرهاب**"، وارتدى الأطفال قمصانًا طبعت عليها أعلام العراق وفلسطين، وكتب عليها "**لا للحرب**" وقد حث جورج جالوي عضو مجلس العموم البريطاني في مؤتمر"**الحملة الدولية للدفاع عن العراق**"" الرأي العام العربي على النهوض قبل أن تولي الولايات المتحدة وبريطانيا "**رئيسًا دمية**"على العراق، وقبل أن تنهب الحكومات الأجنبية ثروات العالم العربي. وطالب الحكومة البريطانية بالتوقف عما أطلق علي"**الكذب الواضح**" ،وحذر "**أن الاستعماريين الجدد يلتقون بنفس المكان** "مجلس العموم البريطاني" **يعدون خطة سايكس بيكو الثانية**"، وبشكل عام فإنه يمكن رصد المؤشرات التالية بصدد المظاهرات في الولايات المتحدة وأوربا تجاه السياسة الخارجية الأمريكية إزاء المنطقة على النحو التالي.

أولاً– محاولة تفسير حركة الرأي العام والمظاهرات ضد العدوان الأمريكي على الأمة العربية والإسلامية

1 – الواقع أنه من خلال الاستعراض السابق يمكن عبر ملاحظة المظاهر "**القولية**" لـ"**ظاهرة الرأي العام**" كما تعكسها الاستطلاعات أن نجد أننا إزاء ما يقارب"**حالة إجماع**" على القضايا الأساسية مما يعنى وجود ثوابت في ضمير الأمة ووجدانها، فالحرب الأمريكية على أفغانستان هي"**عدوان**"، وما يتعرض له الشعب المنتفض في فلسطين هو ما سيتعرض له الشعب العراقي، الأمر الذي يقطع بأن ثمة شواهد على تجسده في وجدان أبناء الأمة وعقولهم، فكأن هناك وحدة وجدانية تنعكس على توجهات أبناء

رابعًا – الدلالات الأساسية لحركة الرأي العام إزاء العدوان الأمريكي على الأمة الإسلامية:

من خلال الاستعراض السابق لمظاهر التعبير عن الرأي العام إزاء القضايا الثلاث المكونة لمعالم السياسة الخارجية الأمريكية إزاء العالم العربي والإسلامي يمكننا إثارة التساؤل بصدد أمرين: أولهما –طبيعة حركة الرأي العام العربي والإسلامي، والفارق الواضح بين المظاهر القولية والمظاهر الفعلية للتعبير عنها وتراجع الأخيرة، ثانيهما– تصاعد وقوة الرأي العام الأوروبي والأمريكي في مقابل تراجع وضعف حركة وقوة الرأي العام العربي والإسلامي تجاه عدوان السياسة الخارجية الأمريكية. وسوف نتناول الإجابة على التساؤلين عبر استعراض الدلالات الأساسية لحركة الرأي العام إزاء العدوان الأمريكي على الأمة الإسلامية على النحو التالي:

الأمة إزاء التهديدات الموجهة لها وبصفة خاصة في فلسطين والعراق [54]

2- تهتم قطاعات الرأي العام العربي والإسلامي - بمختلف شرائحه الاجتماعية - بالقضايا العامة والقضايا المصيرية التي تتعلق بمستقبل الأمة ككل، ووجودها وكيانها الحضاري العام [55] -كما اتضح على الأقل في الاستطلاعات- فالعدو محدد وواضح، والمقاومة وعدم الخضوع ورفع راية العصيان هي السبيل، بالقضايا الخاصة والجزئية والمحلية والهموم المحددة.

3-لا يهتم الرأي العام العربي والإسلامي بصدد القضايا الثلاثة بالتفاصيل بل يعمد لجذورها ويعبر عنها بتلقائية ووضوح شديدين وبعمق أيضا فهو يرى ما يجري على أرض فلسطين وما يحاك للعراق بأنه عدوان على فلسطين وتهديد أمريكي للعراق لم يلق المواطن العادي باللوم-ولو جزئيا- كما تفعل قيادات سياسية وفكرية عديدة بما فيها قيادات فلسطينية على عسكرة الانتفاضة، و لم يتحدث من ثم عن ضرورة وقف العنف المتبادل والجلوس على مائدة المفاوضات، وإنما فهم هذا المواطن بفطرته السليمة الأمر كما ينبغي أن يكون الفهم: عدوان صهيوني على فلسطين وشعبها· "**كما**" لم يستغرق أحد، ممن سئلوا عن رأيهم، في حديث عن ماضي النظام العراقي الذي يجعله المسئول الأول عما يجري، أو يشدد على ضرورة الانصياع الكامل من جانب العراق لكل ما تطالب به الشرعية الدولية أو الإدارة الأمريكية تجنبا لعدوان شبه مؤكد [56]

4- يدرك الرأي العام العربي والإسلامي محدودية قدراته في الانتقال من التعبيرات القولية إلى تجسيد رؤاه في أفعال سياسية محددة، وذلك نتيجة الأوضاع والقيود التي تفرضها الأنظمة العربية عليه، وثمة إدراك أنه لا يمكن تصور أن الرأي العام العربي يؤثر في سياسة الولايات المتحدة أكثر من تأثيره على الحكومات العربية، ولكن التساؤل يطرح نفسه عن أسباب ضعف المشاركة من قبل الرأي العام في التظاهر في مقابل قوة المشاركة العالمية والغربية والأمريكية خاصة والواقع ثلاثة متغيرات أساسية تفسر ذلك وهى [57]:

الأول- حالة الاستبداد السائدة في الدول العربية والإسلامية والتي ساهمت في قتل روح المبادرة، ومعاقبة أي شكل من أشكال التعبير السياسي لا يأتي من قمة الهرم السياسي. ففي بلدان العالم الغربي والولايات المتحدة فإن معارضة الحرب تندرج ضمن معارضة السياسية الرسمية وهى أمر مقبول، لكن المفارقة أن التعبير عن معارضة الحرب على العراق مثلا في أغلب الدول العربية لا يتناقض مع توجه النخب الحاكمة، خاصة تلك التي تشعر بأنها مستهدفة من قبل أمريكا. لكن التخوف من تحول المظاهرات عن أهدافها يمثل مخاطر لا تتحملها العقلية الأمنية التي تسيطر على الأنظمة العربية. فأغلب تلك الأنظمة يمنع المظاهرات العفوية أو حتى التجمعات غير الرسمية، ويوظف أجهزته الأمنية بكامل فعاليتها للتعامل معها.

• **العامل الثاني**- الشعور بالعجز وانعدام الجدوى؛ فثمة شعور بأن المظاهرات وأشكال التعبير السياسي الأخرى السلمية غير مجدية، ولن تستطيع إيقاف الآلة العسكرية الأمريكية. وإذا أضفنا إلى ذلك تجربة الشعوب العربية مع المظاهرات، فالنتيجة المتوقعة المزيد من السلبية. فمثلاً شهدت المنطقة العربية تجربتين مع المظاهرات الشاملة، أولاها المظاهرات التي اجتاحت العواصم العربية الرئيسية ضد الحرب الأمريكية ضد

بغداد عام 1990، والتي غذتها دعاية النظام العراقي بقدرته على هزيمة المعتدين. لكن أم المعارك تحولت إلى هزيمة نكراء. لقد أصابت صور الجيش العراقي المستسلم أمام "**الغزاة**" الكفرة الشعوب العربية المتعاطفة مع العراق بإحباط شديد. والتجربة الثانية كانت في الأشهر الأولى من الانتفاضة الفلسطينية الثانية كما أسلفنا الحديث عنها، فرغم اتساع نطاقها فإنها لم تحدث تغييرًا توهمه البعض في موازين القوى كما أن فشل النظام الرسمي العربي في تحويل هذه الإرادة الشعبية إلى خطوات عملية أصاب الرأي العام العربي بإحباط يضاف إلى السجل التراكمي للعرب في مواجهة إسرائيل شعوبًا وحكومات[58].

- **العامل الثالث**- انشغال الغالبية العظمى من الشعوب العربية بتأمين احتياجاتها الأساسية. يجذبهم بعيداً المظاهرات، وأية أشكال أخرى للمعارضة، إضافة إلى أن سجل الفشل المتراكم للنظام العربي في قضايا الأمية والفقر والتخلف والمرض جفف منابع الحيوية السياسية مقارنة بنلك الحيوية القائمة في الدول الأوروبية أو الولايات المتحدة؛ إذن لماذا التظاهر ضد العدوان الأمريكي على العراق وفق إدراك الرأي العام العربي والإسلامي؟ [59] وفى إطار هذا التفسير يتعين مناقشة ما إذا كانت دلالة هذا التظاهر يمكن أن تكون تصب في خانة تأييد النظام العراقي من ناحية، ومن ناحية أخرى مدى علاقة هذه التظاهرات بالمبررات التي تقدمها الإدارة الأمريكية للعدوان على العراق، الأمر الذي تفسره خمسة متغيرات على النحو التالي:

1- تظاهر الرأي العام العربي ضد تدخل أمريكي جديد في العراق وفي أي بلد عربي آخر ليس نابعًا من الحرص على النظم السياسية الاستبدادية القائمة في البلاد، واعتقاداً بوجود أسلحة دمار شامل يمكن أن تستخدم يومًا في مواجهة الكيان الصهيوني، كما أنه ليس نابعاً من تخوف أن يشكل التدخل العسكري الجديد المنتظر في العراق مقدمة لتدخلات أخرى في بعض الدول العربية. ولكن نتيجة الخبرة الطويلة مع القوى الغربية والولايات المتحدة في العقود الثلاثة الماضية "**فلو أن الرأي العام العربي كان على ثقة بأن ما تريده الولايات المتحدة في الشرق الأوسط هو -كما يتحدث عنه الإعلام الأمريكي اليوم بمناسبة الإعداد للحرب وإضفاء المشروعية عليها- تخليص الشعوب العربية من الدكتاتورية وإقامة نظم ديمقراطية وطمأنة الأقليات وتحرير المنطقة من عوامل السيطرة والهيمنة والقهر في سبيل تحقيق الاستقرار والأمن في الشرق الأوسط لجميع الدول والشعوب، وفتح هذه المنطقة على الاستثمارات الخارجية لتمكينها من الوصول إلى معدلات تنمية طبيعية وعادية وليس بالضرورة استثنائية، وإزالة أسباب التعصب والعنف والإرهاب منها، لما تردد عربي واحد في إعطاء مباركته لواشنطن أو لأي قوة دولية أخرى في المنطقة أو خارجها. فالخبرة تقول بأن المشكلة ليست في الشعارات التي تطرحها الولايات المتحدة، ولكن في علاقتها بهذه الشعارات وتعاملها على الأقل في البلاد العربية على أساسها** "[60] .

2- تظاهر الرأي العام العربي؛ لأنه لم يقتنع بمبررات الولايات المتحدة حول تدخلها وعدوانها بحجة النظم الاستبدادية السائدة المنطقة العربية والإسلامية منذ أربعة عقود على الأقل بما فيها نظام صدام حسين، فالولايات المتحدة لا يمكنها أن تبرهن للرأي العام أن هذه الأنظمة نجحت في الاستمرار والبقاء رغم تعارض وجودها مع مصالح الولايات المتحدة الداعية لاحترام الديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم والداعية لتعميم نموذج الحياة الديمقراطية الأمريكية، ولن تجد أمريكا الوسائل التي ستمكنها من إقناع الرأي العام العربي والدولي معاً بأن هذه الأنظمة التي تتخذ اليوم من طابعها الاستبدادي مبررًا للتدخل العسكري قد وصلت إلى السلطة وبقيت فيها عن طريق التصويت

الشعبي الحر والنزيه والدوري، أو أن الولايات المتحدة لم تكن قادرة فيما يتعلق بالنظم التي كانت على الأقل تحت وصايتها على ممارسة أي ضغط لتطوير نظمها السياسية واعتماد مبدأ المواطنة والانتخابات الحرة.

3 – تظاهر الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي؛ لأنه لم يقتنع -بالحجة الأمريكية- بأن ضرب نظام الحكم العراقي والدول العربية الأخرى المستهدفة وتصفية أسلحتها المتطورة يندرج ضمن رغبة الولايات المتحدة الأمريكية بضمان قدر أكبر من الأمن والاستقرار والتعاون الإقليمي في المنطقة والتخفيف من التوتر، وهي في الوقت نفسه لا تكف منذ عقود عن تعزيز الترسانة العسكرية الإسرائيلية بأحدث وأخطر أسلحة الدمار الشامل ومساعدتها على الاحتفاظ علنيًا ورسميًا بالتفوق الاستراتيجي الساحق على الدول العربية مجتمعة.

4– تظاهر الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي؛ لأنه لم يقتنع بأن إزالة مخاطر الحرب والتهديد بها هو هدفها من وراء التدخل في العراق في حين لا تتردد في مباركة حرب الدمار الشامل التي لا تزال الحكومة الليكودية الصهيونية تشنها على المجتمع الفلسطيني بدءًا من هدم بناة التحتية وانتهاء بتصفية قادته وشبابه ومرورًا بتدمير جميع مؤسساته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وفي مقدمتها السلطة الوطنية التي نجمت عن المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية.

5- تظاهر الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي لأنه لا يثق بأن انشغال الولايات المتحدة بمصير الأقليات في الأقطار العربية واهتمامها بحقوقهم ومصالحهم هو الدافع وراء تدخلها وعدوانها على العراق، وهو يدرك ما تعامِل به الحليفة الاستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة أقليتها الفلسطينية في حين لا تحرك واشنطن ساكناً أمام مشروع التطهير العرقي الواضح الذي تنفذه عبر سياسة توسيع الاستيطان في الأراضي الفلسطينية وتطبيق قوانين التمييز العنصري والسيطرة الكاملة على موارد الحياة والثروة المائية في الضفة الغربية وغزة.

6 – تظاهر الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي؛ لأنه لم يقتنع بأن ضرب الحكم العراقي هو مقدمة لتحقيق الانفتاح الاقتصادي وتعزيز فرص التنمية الاقتصادية في المنطقة في سبيل خلق فرص العمل اللازمة للشباب وإزالة الفقر والعوز في المجتمعات العربية، في الوقت الذي عرفت فيه المساعدة الأمريكية للتنمية أكبر انهيار لها في السنوات العشرين الأخيرة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وأصبحت تتركز أساسًا على دولتين رئيسيتين هما إسرائيل ومصر لأهداف محددة؛ الأولى لتعزيز قوتها الهجومية ضد الفلسطينيين والعرب، والثانية لتحييدها وشراء موافقتها على هذه السياسات الإسرائيلية والأمريكية الهجومية ذاتها.

والخلاصة التي نصل إليها في نهاية الدراسة هي أن الرأي العام العربي والإسلامي أساسًا اتخذ مواقفه لإدراكه بأن أهداف الولايات المتحدة الأمريكية لا علاقة لها بمصالح المنطقة العربية والعالم الإسلامي، وكل ما تهدف إليه هو"**تعزيز وتدعيم مرتكزات السيطرة الأمريكية في الشرق الأوسط واستباق الانفجارات التي يمكن أن تهدد هذه المرتكزات، وهذا هو ما يخشاه الرأي العام العربي ويرفض التدخل من أجله، إنه لا يخشى الحرب على صدام حسين ونظامه ولا يخاف من نتائج سقوطه، ولكنه يخشى توسع دائرة النفوذ الأمريكي في المنطقة وفي كل دولة على حدة، أنه يخشى أن تصبح الولايات المتحدة هي الطرف الوحيد الذي يملي**

إرادته على جميع شعوب المنطقة وفي كل الميادين والمستويات (61).

ومما يدعم ما سبق أن سقناه من دلالات على حركة الرأي العام العالمي والغربي والأمريكي تحديدًا مقابل الحصار المفروض على حركته في معظم البلدان العربية والإسلامية، تلك المظاهرات الشعبية التي اجتاحت مختلف قارات العالم ضد الحرب، وضد الإدارة الأمريكية يوم الخامس عشر من فبراير2003 – وهو تاريخ فراغنا من كتابة هذه الدراسة، إذ بلغت الأعداد المشاركة على مستوى العالم قرابة العشرة ملايين متظاهر، ففي لندن تظاهر قرابة المليونين، وفى برلين ما يفوق النصف مليون، وفى باريس مائة ألف وكذلك في المركزي، وقوات مكافحة الشغب وخلافه "(62).... ولله الأمر من قبل ومن بعد

هوامش الدراسة ومراجعها:–

(1) حامد عبد الماجد، دراسات في الرأي العام.. مقاربة سياسية، القاهرة: دار الشروق الدولية، 2003– ص 36، بالطبع هناك العديد من التعريفات لظاهرة الرأي العام تقدمها مختلف المدارس والاتجاهات، ولكن التعريف الذي قدمناه في الدراسة هو الذي سوف نعتمده أساسًا للتحليل في الدراسة.

(2) حامد عبد الماجد، الاتجاهات الحديثة في دراسة ظاهرة الرأي العام، القاهرة: كلية الاقتصاد، مركز البحوث والدراسات السياسية، سلسلة بحوث سياسية، رقم (138)، سبتمبر 2001، ص 14

(3) تستدعى حالة العدوان التي تعيشها الأمة العربية والمسلمة والتي ترصدها هذه الدراسة حول القضايا الثلاثة: "**انتفاضة الأقصى الثانية، والحرب على الإرهاب وماتم في إطارها من مهاجمة أفغانستان، ثم التهديد بالعدوان على العراق**" الحديث الشريف في قوله صلى الله علية وسلم " **توشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يؤمئذ يا رسول الله؟ قال: لا بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليتزعن الله مهابتكم من قلوب أعدائكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله، قال حب الدنيا، وكراهية الموت**" متفق عليه

نيويورك، وفى دبلن ثمانون ألف متظاهر، وستون ألفًا في أوسلو وكذلك في مدريد، وخمسون ألفاً في بروكسيل، وفى برن بسويسرا أربعون ألفاً، وثلاثون ألف في جلاسكو، وخمس وعشرون في كوبنهاجن، وفى فيينا خمسة عشر ألف وعشرة آلاف في أمستردام، وفى جنوب أفريقيا خمس وعشرون ألفا، وألفان في كل من دكا وأوكرانيا، وعشرة آلاف في أثينا، وخمس وعشرون في تركيا، وعشرات الآلاف في أستراليا، وكذلك في ماليزيا وإندونيسيا..... الخ... أما في العالم العربي فإضافة لمظاهرات بغداد، ودمشق التي تحشد السلطات لمثل هذه المظاهرات.... فقد خرجت في القاهرة مظاهرة واحدة قوامها ألف متظاهر يحرسهم أضعافهم من قوات الأمن

(4) طارق البشرى، العرب في مواجهة العدوان، القاهرة:دار الشروق، ط1، 1423-2002 ص 17

(5) طارق البشرى، مرجع سابق، ص 16

(6) جيمس زغبي: واشنطن تبدو داعمة للعدوان الإسرائيلي، موقع قناة الجزيرة على الإنترنت، **www.aljazeera.net**، 2002/4/4

(7) حول ذلك راجع:

- برهان غليون، انهيار الثقة بالإدارة الأمريكية ومسئولية العرب، موقع قناة الجزيرة على الإنترنت، www.aljazeera.net، 2002/6/19، وأيضا: -
- نعيم قداح، الملف السياسي ــ باول عاد بخفي حنين، أمريكا مازالت ترقص على طبول الحرب الإسرائيلية، جريدة البيان الإماراتية، 6 يوليو 2001

(8) برهان غليون، الأزمة العربية الأمريكية: على نفسها وغيرها جنت براقش، موقع قناة الجزيرة على الإنترنت، www.aljazeera.net، 2002 /9/2

(9) المرجع السابق.

(10) سلامة أحمد سلامة، من قريب، لماذا العراق الآن؟ الأهرام،2002/12/31

(11) طارق البشرى، مرجع سابق، ص 16

(12) سليمان عبدا لمنعم، نحن وأمريكا: خلاف رأي أم اختلاف رؤية؟!، قضايا و آراء الأهرام 2002 /9/22

(13) حامد عبد الماجد، الاتجاهات الحديثة.... مرجع سابق، ص 18

(14) **Noureddine Miladi , Is al- Jazzera Transforming the Face of Arab Television Forever ? , 23 conference an General Assembly Intercultural Communication , Barcelona ,21 to 26 July 2002, P., 187**

(17) تلعب جريدة القدس العربي دورا مؤثرا في تشكيل الرأي العام – خاصة للجالية العربية – في بريطانيا، والبلاد الأوربية إزاء القضايا العربية والإسلامية المختلفة سواء قضايا العدوان الأمريكي والغربي، أو قضايا الحريات والاستبداد والديموقراطية، وتتميز الآراء التي يطرحها رئيس تحريرها عبدا لبارى عطوان سواء في الجريدة، أو قناة الجزيرة، أو ال**BBC** بالمنطقية، والوضوح والقوة ولعل ذلك مبرر اختيارنا لتغطيتها كنموذج للدراسة لتشكيل الرأي العام للجالية العربية والإسلامية في المهجر راجع:

Hamed Quisay , The role of Al-quads Al-Arabia, in reconstruction public opinion of Arab Diaspora in North West of London City, Unpublished paper presented at Second meeting of Middle East Studies of Middle East Studies and Arab Media Politics, SOAS, London University, 23 Feb,2001،

(18) صحف خليجية تدين التقييم الأمريكي والبريطاني لإعلان العراق حول برامج تسلحه، القدس العربي، 20/12/2002

(19) حسنين كروم، مبارك يستخدم لأول مرة كلمة عدوان لوصف الهجوم الذي تجهز له أمريكا ضد العراق، هجمات عنيفة ضد مشروع أمريكا لنشر الديمقراطية بالعالم العربي، القدس العربي 19/12/2002

(20 حسنين كروم، تحذير من تحويل العراق إلي بوسنة جديدة، القدس العربي، 17/12/2002)

(15) جاء ذلك في لقاء لتقييم دور قناة الجزيرة في التغطية الإعلامية والدعائية لأحداث الحرب في أفغانستان، والحرب على الإرهاب، قام بدور الدفاع عن وجهة نظر القناة مراسلها في القاهرة حسين عبد الغني، وتم نشر اللقاء في موقع **Islamonline.net**

(16) المرجع السابق.

(21) نيل ماكفركهر، خبيرة دعاية تعاقدت معها واشنطن لتحسين صورتها وجدت الرأي العام العربي مستاء، الشرق الأوسط،2002/2/1وأيضا في نفس السياق راجع:

- فيليب سماكر، باول يكتشف رأيًا عامًا عربًيا تغير بشكل جذري في جولته الحالية، الشرق الوسط،2002/4/11، خدمة "**كريستيان ساينس مونيتور**" .

- مأمون فندي، الثقة المفقودة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي، الشرق الأوسط،2002/1/7

(22) بسام البدارين، ملخص الصحافة الأردنية، الصحافة الأردنية ترفض مبيعات كولن باول وتقول أن مبلغ 29 مليون دولار غير كاف.. وتتهم أمريكا بالتحضير لمجزرة العصر، القدس العربي، 21/12/2002

(23) حسنين كروم، السفير الأمريكي يؤكد مروره بكل شبر بمصر، مطالبة صدام باعتذار جديد للشيخ جابر، القدس العربي، 2002/12

(24) مطيع الله تائب – إسلام أون لاين –12 / 1 / 2003

(25) واشنطن – وكالات الأنباء – إسلام أون لاين.نت/ 4-2-2003 "

(26) واشنطن – وكالات الأنباء – إسلام أون لاين. نت / 5 – 2 -2003

(27) الواضح من ردود أفعال الإدارة الأمريكية على المظاهرات التي عمت العالم يوم 15 فبراير في حوالي 365 مدينة في جميع قارات العالم على نحو ما أشرنا في نهاية الدراسة – وبالذات – في البلاد التي تقف مع إدارة بوش خاصة بريطانيا والتي شهدت مظاهرة قوامها مليونان، وكما اتضح من ردود وزير الخارجية الأمريكي، وكذلك تصريحات مستشارة الأمن القومي في اليوم التالي مباشرة، أن الإدارات الأمريكية الذي يحكم تصرفاتها وقراراتها في مجال السياسة الخارجية ليست ضغوط الرأي العام العالمي، وإنما طبيعة النخبة الحاكمة ونمط التحالف القائم بينها والمركب الصناعي العسكري والنفطي، وبالتالي فإنه وفقا لمقولة تشومسكي فإن الذي يحكم الحركة ليس وهو الرأي وإنما القوة والسيف.. راجع الجدل النظري حول حدود فعل الرأي العام في السياسات الخارجية للإمبراطوريات وماهو العامل الذي يحرك التاريخ هل هو الرأي أم القوة؟ في:-

– حامد عبد الماجد، دراسات في الرأي العام..... مرجع سابق، ص 134 - 136

(28) تصاعد غليان الجماهير العربية ضد إسرائيل وأمريكا، موقع قناة الجزيرة على الإنترنت، **www.aljazeera.net**، 2002/4/1

(29) مصر تستضيف مظاهرة دولية معارضة للحرب ضد العراق، القدس العربي، 16/12/2002

(30) فهمي هويدي، قاطعوهم ما استطعتم، الشرق الأوسط، 15/ 2 / 2002

(31) جيمس زغبي، في مواجهة شركة ديزني، جريدة البيان الإماراتية، 27 سبتمبر 1999

(32) فهمي هويدى، المرجع السابق، ويلاحظ أن المقاطعة ظلت من أكثر الأدوات فعالية واستمرارية في مواجهة حالة العدوان الأمريكي على الأمة العربية والإسلامية، وقد أوجدت حالة حقيقة من الوعي الشعبي على امتداد الأمة بطبيعة العلاقة بين الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية، وبطبيعة الخطر الذي يتهدد وجود هذه الأمة...

(33) كشفت القضايا الثلاث وبالذات القضية الأخيرة (التهديد بالعدوان على العراق) عن تراجع وتواضع ردود أفعال الحركات الإسلامية وتراجعها عن تحريك الشارع السياسي، وقيادة الرأي العام وبالذات أكبر هذه الحركات في العالم العربي، وهى حركة الإخوان المسلمين التي تعانى من عدة اختلالات داخلية، بالإضافة إلى النجاح النسبي للنظام المصري في الحد من فعاليتها وتحركها على صعيد الرأي العام، ورغم أنه كانت ثمة توقعات بأن تقوم الحركة بدورها في هذا الصدد إلا أنه وحتى كتابة هذه الورقة لم تقم الحركة بدور يذكر في هذا الصدد رغم مناشدات البعض راجع حول ذلك:

- د. أحمد يوسف، هل يتحرك الإخوان المسلمون لنجدة شعب العراق، لندن: جريدة القدس العربي، 24 / 1 / 2003، ص 7، وحول علاقة الإخوان بالنظام المصري وأثره على تراجع دورهم السياسي على صعيد الرأي العام راجع: –
- **Hamed Quisay ,Explaining The Change: The Egyptian politics towards the Muslim Brotherhood, Center of political Studies, Cairo University, 2002**
- وحول العوامل الأخرى – وخاصة الذاتية – التي أدت إلى هذا التراجع: –
- حامد عبد الماجد، في مطلع القرن الحادي والعشرين، أسباب التراجع السياسي للحركة الإسلامية في مطلع القرن القاهرة: مجلة المنار، عدد صيف، 2001
- (34) حامد عبد الماجد، الاتجاهات الحديثة في دراسة ظاهرة الرأي العام.... مرجع سابق، ص 13، ويلاحظ أن ثمة مسئولية ينبغي التذكير بها محورها تحويل الاتجاهات إلى آراء وتعبيرات يتم الإفصاح عنها، ثم تحويلها إلى تعبيرات فعلية ومظاهرات وحركة شعبية شاملة تضغط على الأنظمة والحكومات العربية لكي تتخذ مواقف حقيقية على قدر التحدي الذي يواجه الأمة، وهو تحدى الوجود الحضاري بالأساس راجع حول هذه المعاني:
- مساعد بن مبروك الحجيلي، توظيف الرأي العام لخدمة قضايا الأمة مسئولية من؟ الرأي العام العربي سلاح لا يقل أهمية عن سلاح البترول في مواجهة أمريكا، الشرق الأوسط، 2001/3/27

- برهان غليون، الأزمة العربية الأمريكية: على نفسها وغيرها جنت براقش، موقع قناة الجزيرة علي الإنترنت، **www.aljazeera.net**، 2/9/ 2002

(35) انظر التصويت في موقع قناة الجزيرة علي الانترنت، خلال الفترة من 2001/9/13 إلي 2001 /9/16

(36) انظر التصويت في موقع **B.B.C.ARABIC** علي الانترنت. **B.B.C. ARABIC.COM**

(40) وقد ازدادت النسبة مع مرور الوقت، وتحول الأمر إلى ما يشبه العقيدة الراسخة، وراجع حول:

- التصويت في موقع قناة الجزيرة علي الانترنت، خلال الفترة من 2002/11/29 إلي 2002/12/2

(41) جمال أبو شنب، مرجع سابق، ص 23، 24

(42) جمال أبو شنب، مرجع سابق، ص22، 23

(43) بيان من علماء الأزهر إلي الأمة العمليات الاستشهادية أعلى مراتب الجهاد، **www.arabnews.com**

(44) فضيلة المفتي يؤيد العمليات الاستشهادية في فلسطين، **www.islamonline.net**

(45) انظر نص الفتوى والردود والتعليقات عليها – فتاوى فقهية حول الحرب الجارية شارك فيها في طرف د. محمد العوا وطه **www. Americanvalues.org , 27- 10- 2002**

وكان المثقفون السعوديون قد ردوا على رسالة **"على أساس نقاتل"** والتي أشرنا إلى نصها ووقعها ستون مفكرا ومثقفا أمريكيا في العاصمة واشنطن من بينهم صامويل هانتجتون، وفرنسيس فوكوياما، وبرنارد لويس ونشرت في فبراير 2002، ووقع على رسالة الرد كما أسلفنا على الرسالة 153 شخصية سعودية ونشرت الرسالة **"على أي أساس نتعايش؟ "** ونشرت في أيار بالرياض، فعاد المثقفون الأمريكيون إلى الرد

(37) محمد جمال عرفه، لو لم أكن كوريا لوددت أكون كوريا، إسلام أون. نت، الشئون السياسية، 15/ 1 / 2003،
http://www.islamonline.net/arabic/p...article10.shtml

(38) جمال محمد أبو شنب، رأي الشباب العربي في أحداث سبتمبر، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، كراسات استراتيجية، العدد 118 السنة الثانية عشرة 2002. ص 21، 22

(39) المرجع السابق.

العلواني والقرضاوى وغيرهم وقد خالف هؤلاء د. على جمعة، وفيصل مولوى وآخرون راجع في إسلام أون لاين. نت مثلا: **www.islamonline.net**، وذلك يوم 14- 10 – 2001

(46) المرجع السابق .

(47) آية الله العظمي حسين الصدر يفتي بتحريم تعاون المعارضة العراقية مع الولايات المتحدة، القدس العربي، 24/12/2002

(48) **What we are fighting for, a letter from America, www.Americanvalues.org. 27- 10- 2002**

- What we are fighting form A Follow Up ,

على الرد بآخر تحت عنوان "**هل يمكن أن نتعايش؟**" وذلك في أكتوبر 2002

ويمكن مراجعة النص الأصلي: _ **We Can Reason Together?**

To Saudis on Terrorism War: " Intellectuals Respond U.S.

Is Islamic piety as practiced in Saudi Arabia inconsistent with militant jihadism ? " American values. org "

وكان هذا الحوار قد لاقى ردود أفعال واسعة على مستوى المثقفين الأوربيين والعرب والمسلمين ويمكن مطالعة رؤية ورد المفكرين الألمان على رسالة المفكرين الأمريكيين "**على أي أساس نقاتل**" في

A World of Justice and Peace would be different, A response to What We are Fighting for: A letter from America. Published originally in the Frank furter Allgemeine , May 2 ,2002 as Eine Welt der Gerechtigkeit und des Friedens sieht anders aus

WWW.Americanvalues.orgs.

وبدورهم رد عليهم المفكرون الأمريكيون **Is the Use of Force Ever Morally Justified , A Response From American to Colleagues in Germany ,August 8, 2002**

وقد توالت الحوارات والجدل الذي يمثل مختلف وجهات النظر حول هذه القضايا المهمة الأمر الذي يحتاج معه إلى أفراد دراسة مستقلة..

(49) قبيل اللقاء المقرر بين ولي العهد والرئيس الأمريكي، مثقفون سعوديون يعتبرون أمريكا وإسرائيل محور الشر، موقع قناة الجزيرة علي الإنترنت، **www.aljazeera.net**، 2002/4/21 وراجع أيضا:

- المثقفون السعوديون يردون على افتراءات الأمريكيين، موقع قناة الجزيرة علي الإنترنت، **www.aljazeera.net**، 4/28

(50) سامي حداد (برنامج أكثر من رأي)، المثقفون السعوديون يردون على مقولة الحرب العادلة، موقع قناة الجزيرة علي الإنترنت، www.aljazeera.net، 2002/5/13

(50) توصل الباحث إلى المنطق العام لهذه التطورات والنتائج في دراسته حول الاتجاهات الحديثة في دراسة الرأي العام، وجاءت هذه الأحداث والقضايا لتؤكد هذه النتائج من خلال حالات تطبيقية راجع:- حامد عبد الماجد، الاتجاهات الحديثة في دراسة الرأي العام..... مرجع سابق، ص 34 - 35

(51) قمنا بتجميع المعلومات والبيانات الخاصة بالمظاهرات الشعبية من واقع المعلومات المنشورة على شبكة الإنترنت راجع حول ذلك في: -

- القاهرة - حمدي الحسيني- الرباط- عبد الله البقالي- عواصم (أ ف ب) - إسلام أون لاين.نت/ 18-1-2003
- غزة-ياسر البنا-القاهرة-المنامة-وكالات-إسلام أون لاين.نت/17-1- 2003

- الرباط - عادل إقليعي - إسلام أون لاين.نت/ 3-1-2003

- القاهرة - حمدي الحسيني - إسلام أون لاين.نت/21-12-2002

(53) عبدا لبارى عطوان، تصاعد العنف ضد الأمريكان... الوسيلة الجديدة للتعبير عن الرأي العام في العالم العربي - زاوية رأى القدس، لندن:القدس العربي، 25 – 12 - 2002

(54) منى الهلباوى - لندن - مراسل إسلام أون لاين. نت **www.islamonline.net**

(55) أحمد يوسف أحمد، الرأي العام المصري...، صحيفة البيان الإماراتية- 14- 1-2003 ص 11

(56) المرجع السابق، ص 11

(57) د. نجيب الغضبان، الرأي العام العالمي والحملة الأمريكية على العراق، الجزيرة. نت 3/ 2 / 2002 وكذلك، الأهداف الحقيقية والمعلنة للحملة الأمريكية على العراق، **www.arabnews.com**

(58) المرجع السابق

(59) برهان غليون، تساؤلات الشارع العربي، موقع الجزيرة. نت (ملفات خاصة) – تحليلات - 28 / 7 / 2002

(60) المرجع السابق،

(61) المرجع السابق،

(62) حول رصد لهذه المظاهرات التي شملـــت 352 مدينـــة حول العالم كانت الأضخم منذ الحرب العالمية الثانيـــة راجع هذا الجدول (ب)

الرابط الخاص بمواعيد الفاعليات